

من تراث الكوثري

٣٦

الإمتاع

بسيرة الإمامين

الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع

رحمهما الله تعالى



بقلم

محمد زاهد الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

ت: ٥١٢٠٨٤٧

حقوق الطبع محفوظة للناسر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله الذي هداَنَا إلى الطريق الأَسَدِ الأحكم .
والمَنْهَجِ الأَرشَدِ الأَقْصَمِ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ . (أَمَّا بَعْدُ) فهذا كِتَابُ سَمِيئَتِهِ
(الإِمْتَاعِ بِسِيرَةِ الإِمَامَيْنِ الحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ وَصَاحِبِهِ مُحَمَّدِ
بْنِ شِجَاعٍ) رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَى ، كَتَبْتُهُ نَزْوَلاً عِنْدَ رَغْبَةٍ بَعْضُ
أَفْاضِلِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِمَّنْ إِشَارَتُهُ حَتَمٌ . فَذَكَرْتُ فِيهِ تَرْجُمَةَ
الإِمَامِ الْفَقِيهِ الْمُحَدِّثِ الْمُجْتَهِدِ الْوَرَعِ أَبِي عَلَى الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ
الْلُّؤْلُؤِي الْكُوفِي الْأَنْصَارِي . وَتَرْجُمَةَ صَاحِبِهِ الإِمَامِ الْبَحْرِ
الْمَوَاجِ . الْحَبِيرِ الْمُحْجَّاجِ . أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ شِجَاعٍ
الثَّلْجِيِّ إِحْقَاقاً لَتَرْجُمَتِهِمَا بِتَرَاجُمٍ مِنْ سَبْقِ ذِكْرِ سِيرَتِهِمْ مِنْ
فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ . وَالْأَثْمَةِ الْأَجَلَةِ ، وَتَقْدِيرًا لِمَا لِهَمَا مِنْ عَمَلٍ مُجِيدٍ
فِي تَبْيِينِ الدَّلَائِلِ ، وَتَحْقِيقِ الْمَسَائِلِ رَغْمَ تَطَاوُلِ أَلْسِنَةِ بَعْضِ
السَّنَقَلَةِ فِيمَا أَلْفَوْهُ فِي عَهْدِ تَفَاقُمِ شَرِّ الْحَشَوِيَّةِ وَتَقْرِيبِهِمْ فِي عَهْدِ
الْمُتَوَكِّلِ الْعَبَّاسِيِّ بَعْدَ رَفْعِ مَحَنَةِ الْقَوْلِ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ . وَرَغْمِ
نَهْشِهِمْ لِأَعْرَاضِهِمَا بِكُلِّ سُوءٍ بِمُنَاسَبَةٍ مَا يَعْزَى إِلَيْهِمَا مِنْ
الْوُقُوفِ حَيْثُ وَقَفَ الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَا شَيْئاً عَلَى
قَوْلِهِمَا : (الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ) وَكَانَ هَذَا يَكْفِي إِذْ ذَاكَ لِاسْتِبَاحَةِ
إِكْفَارِ الْمَرءِ وَرَمِيهِ بِكُلِّ بَلِيَّةٍ ، عَلَى أَنَّكَ تَجِدُ بَيْنَ ثَنَائِيَا حِكَايَاتِ
الْمُعْتَدِينَ شَوَاهِدَ تَكْذِيبِهَا فَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَقَدْ ارْتَأَيْتُ
أَنْ أَذْكَرَ فِي تَرْجُمَةِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ نَمَاذِجَ مِنْ مَرْوِيَّاتِهِ فِي
الْحَدِيثِ فِي فِصْلِ خَاصٍ بِنَوْعٍ مِنَ الْإِفَاضَةِ . لِقَلَّةِ مَا هُوَ مَدُونٌ
فِي الْكُتُبِ الْمَطْبُوعَةِ مِنْ أَحَادِيثِهِ مَعَ كَوْنِهِ مِنَ الْمَكْثَرِينَ فِي

رواية الحديث بين أصحاب أبي حنيفة النعمان عليه وعليهم الرحمة والرضوان . وانتهجت في ترجمته وترجمة صاحبه منهج الاختصار . وفي ذاك تمهيد لمن يرغب في أفراد ترجمة كل منهما بمؤلف خاص . وسعيت جهدي في الذب عنهما بميزان العدل والكشف عن اعتداءات مخالفتهما في المذهب عقيدة أو عملاً . لافتنا النظر إلى أن اختلاف المذاهب بين الجارح والمجروح . والقادح والمقدوح . مدعاة للترويح في قبول القدح والجرح عند أهل النقد ومما يؤسف له جداً ما شهر بين أهل العلم : أن العلماء المختلفين في المذاهب أشد تغايراً من التيوس . فأين يبقي مع هذه الحالة النفسية الأمانة في العلم ، والعدل في الحكم ؟ والواقع أن من هاج هائجة أيام الفتنة وتقول فيما ليس له به علم يعذره بعض الناس في استرساله في الإكفار أو التبديع وتصديق كل طعن من كل من هب ودب لكن بعد هدوء النفوس الشائرة ودخول الأمر في نمة التاريخ لا يعذر أحد في الاسترسال في ذلك حيث تتجلى الغواشي التي كانت تحول دون اجتلاء الحقائق . فمن استمر على نهش أعراض الأبرياء مدى الدهر بعد جلاء الحقائق فهو على جاهليته الأولى بحيث لم تنفذ إلى قلبه تلك الزواجر الإلهية الماثلة أمامه في القذفة وأهل البهت . وأقل ما يعاقب به مثله في الدنيا هو رد شهادته . وكشف الستار عن خيائنه فيجعل في عداد الأموات حيث لا يلتفت إلى كلامه أي النفقات . وأما ما يلقاه الباهت الأثيم في الآخرة من العذاب الأليم فإله سبحانه به عليم . وقد جعلت الرسالة على قسمين باسمي هذين الإمامين الجليلين والله سبحانه وتعالى هو الموفق المسدد . فأقول مستعيناً بالله جل جلاله :

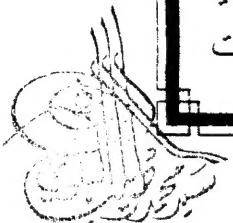
(١) الحسن بن زياد

نشأته ومبدأ أمره ونظام حياته عند اكتمال بدره

كان كوفي الدار عراقي الأصل نبطياً ، كالزعفراني
 راوية المذهب القديم للشافعي ، والنبط : شعب نشيط
 معروف بالحذق في عمارة الأرض . وكانوا سكان العراق
 وأربابها . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : نحن
 معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى . وكوثى
 العراق سرّة السواد . وبها ولد إبراهيم الخليل عليه الصلاة
 والسلام . وفي حديث على كرم الله وجهه : من كان سائلاً
 عن نسبنا فأنا قوم من كوثى . وهذا منه تبرؤ من الفخر
 بالأنساب وتحقيق لقوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله
 أتقاكم ﴾ كما يقول ابن الأثير ، فانظر إلى ذلك الصحابي
 الجليل ، ذي المجد الأثيل ، والشرف الأصيل كيف
 لم يحمل نسبه الأشرف من كل نسب . على الفخر بنسب
 أو حسب . مترفعاً عن التعجرف والعنجهية والكبرياء .
 عاداً الإخاء الإسلامي فوق كل إخاء . باعتبار أن إسماعيل
 عليه السلام إنما استعرب بسكني الحجاز بعد أن كان سليل
 إبراهيم عليه السلام المولود في كوثى النبط . فأين هذا
 الإخاء الإسلامي الشامل المنصوص عليه في قوله
 تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ الجامع لشمّل المسلمين ؟

من تلك الشعوبية المفرقة لكلمة المسلمين الحاملة لكل
شعب منهم على الانفراد عن الآخرين . ليكونوا لقمة
سائغة للمبتلعين من أعداء الدين . قال أبو عبد الله
الحسين بن علي الصيمري في كتابه (أخبار أبي حنيفة
وأصحابه) : أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ . قال حدثنا
مكرم . قال حدثنا أحمد بن عطية . قال حدثنا مليح بن
وكيع قال حدثنا أبي . قال : (كان الحسن بن زياد يلزم
أبا حنيفة . فقال أبوه : لي بنات وليس لنا غيره . فقال :
أشر عليه بما ينفعه . فقال له . وقد جاء : إن أباك قال
كيت وكيت . الزم . فإني لم أر فقيهاً قط فقيراً . وكان
يجري عليه حتى استقل) . ومثله في المناقب للموفق بن
أحمد المالكي (١ - ٢٦٤) إلا أن فيه (حتى اشتغل)
بدل (حتى استقل) . وهذا يدل على أن الحسن بن زياد
كان ممن ينفق عليهم أبو حنيفة من تلاميذه ليتمكنوا من
الانصراف إلى العلم إلى أن ينبغي في الفقه . إلا أن
الحسن بن زياد لم يكن من الرعيل الأول من أصحاب أبي
حنيفة بل تفقه عليه في مبدأ أمره ثم أصبح هلاله بديراً بعد
أبي حنيفة بملازمته زفر وأبا يوسف وغيرهما من
أصحابه رضي الله عنهم أجمعين . وكان والد الحسن بن
زياد من موالى الأنصار فنسب الحسن أنصارياً لذلك .
ويذكره الموفق المكي في المناقب (٢ - ١٣٣) عند سرد
أسماء أصحاب أبي حنيفة قائلاً : (ومنهم اليقظ النبيه .

والفهم الفقيه . والورع النزيه . الحسن بن زياد (اللؤلؤي) . وسعة دائرة علمه . ويقظته البالغة وورعه الشديد . موضع اتفاق بين فقهاء المذهب وحكي نصير بن يحي أن الحسن بن زياد كان قسم النهار على أقسام وكان يجلس صدر النهار إذا رجع من صلاة الصبح فيدرس فيخوضون في مسائل الفروع إلى قريب الزوال . ثم يدخل المنزل فيقضي حوائجه إلى وقت الظهر . ثم يخرج للظهر ويجلس للواقعات إلى العصر . ثم يصلي العصر ثم يجلس فيناظرون بين يديه في الأصول . ثم يصلي المغرب ويدخل المنزل ثم يخرج فيتذاكرون المسائل المغلقة إلى العشاء . فإذا صلي العشاء جلس لمسائل الدور والوصايا إلى ثلث الليل وكان لا يفتر عن النظر في العلم . وكان له جارية إذا اشتغل بالطعام أو بالوضوء أو بغير ذلك تقرأ عليه المسائل حتى يفرغ من حاجته . كما في المناقب الكردرية الكبرى (٢ - ٢٠٩) هكذا كان إكبابه على العلم والتعليم . بعد أن أصبح إماماً قدوة رحمه الله ورضي عنه ، ونصير بن يحيى الذي حكى ذلك هو ممن أدرك الحسن بن زياد وأخذ عنه العلم . وهو الذي قال لأحمد بن حنبل : ما ذكره بن أبي العوام حدثني أبو أحمد إبراهيم بن أحمد الترمذي سمعت أبا نصر محمد بن سلام البلخي سمعت نصير بن يحيى يقول قلت لأحمد بن حنبل ما الذي نقمت على هذا الرجل ؟ أعني أبا حنيفة قال الرأي . فقلت



له فهذا مالك بن أنس ألم يتكلم بالرأي ؟ قال نعم لكن رأي أبي حنيفة خلد في الكتب قلت فقد خلد رأي مالك في الكتب قال : أبو حنيفة أكثر رأياً منه فقلت له : فهلا تكلمتم في هذا بحصته وهذا بحصته ؟ فسكت - اهـ رضى الله عنهم ونفعنا بعلومهم .

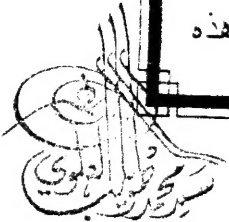
* * *

ثناء أهل العلم على الحسن بن زياد

قال أبو عبد الله الصميري : حدثنا العباس بن أحمد الهاشمي . قال حدثنا أحمد بن محمد المسكي . قال حدثنا علي بن محمد النخعي قال حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي قال : ما رأيت أحسن خلقاً من الحسن بن زياد ولا أقرب مأخذاً ولا أسهل جانباً . قال : وكان الحسن يكسو مماليكه مما يكسو نفسه . قال الحافظ عبد القادر القرشي : كان الحسن محباً للسنّة واتباعها حتى كان يكسو مماليكه كما كان يكسو نفسه اتباعاً لقول رسول الله ﷺ : (ألبسوهم مما تلبسون) . وقال الصميري : حدثنا العباس قال حدثنا أحمد بن محمد حدثنا علي بن محمد قال حدثني محمد بن أحمد بن الحسن بن زياد عن أبيه أن الحسن بن زياد استفتي في مسألة فأخطأ فلم يعرف الذي استفتاه فاكثرى منادياً فنادي أن الحسن بن زياد استفتي يوم

كذا وكذا في مسألة فأخطأ فمن كان أفتاه الحسن بن زياد بشيء فليرجع إليه . قال فمكث أياماً لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى فأعلمه أنه أخطأ وأن الصواب كذا وكذا فهل يتصور أن يفعل مثل هذا من لا يكون ملء إهابه خوف الله جل شأنه . وقال الصيمري : أخبرنا أحمد بن محمد الصيرفي قال حدثنا علي بن عمرو الحريري قال حدثنا علي بن محمد النخعي قال حدثني محمد بن منصور قال حدثنا محمد بن عبيد الله الهمداني قال سمعت يحيى بن آدم يقول : ما رأيت أفقه من الحسن بن زياد . ومن علم من هو يحيى بن آدم ومن رآهم من الفقهاء علم مبلغ أهمية هذه الشهادة منه لحسن بن زياد .

وقال الصيمري أخبرنا أحمد بن محمد قال حدثنا علي بن عمرو قال حدثنا القاضي النخعي قال حدثنا علي بن عبيدة قال حدثنا محمد بن شجاع قال حدثني علي بن صالح قال كنا عند أبي يوسف فأقبل الحسن بن زياد فقال أبو يوسف : بادروه فساءلوه وإلا لم تقووا عليه فأقبل الحسن بن زياد فقال السلام عليكم يا أبا يوسف ما تقول ؟ متصلاً بالسلام . قال فلقد رأيت أبا يوسف يلوي وجهه إلى هذا الجانب مرة وإلى هذا الجانب مرة من كثرة إداخلات الحسن عليه ورجوعه من جواب إلى جواب . وهو يدري مبلغ براعة أبي يوسف في ميدان السؤال والجواب وكيفية إسكاته لكثير من كبار الفقهاء في الجدل يدري ما في هذه



الحكاية من حُسْن الشهادة للحسن في المناظرة مع مثل أبي يوسف . وقال الصيمري اخبرنا أحمد بن محمد الصيرفي قال حدثنا علي بن عمرو قال حدثنا النخعي القاضي قال حدثنا محمد بن منصور الأسدي قال سألت نمر بن جدار فقلت : أيما أفقه ؟ الحسن بن زياد أو محمد بن الحسن . قال : الحسن والله لقد رأيت الحسن بن زياد يسأل محمداً حتى بكى محمد مما يخطئه . قال فقلت له : قد لقيت أبا يوسف وحسناً ومحمداً فكيف رأيتهما ؟ فقال : أما محمد فكان أحسن الناس سؤالاً وأحسنهم جواباً ولم يكن سؤاله على قدر جوابه . وكان الحسن بن زياد أحسن الناس سؤالاً ولم يكن جوابه على حسب سؤاله . وكان أبو يوسف أحسنهم سؤالاً وأحسنهم جواباً . فشهد نمر لأبي يوسف بالتفوق على الاثنين كما شهد لكل واحد منهما بالتفوق على الآخر من جهة وجهة ، على أن مثل هذا الحكم لا يكون باتاً لأن العالم قد ينشط في مجلس ويفتر في مجلس آخر لأسباب نفسية وهذا لا يدل بمجردة على رجحان هذا على ذاك مطلقاً والإنصاف أنه لا مجال لإنكار فضل أبي يوسف على الاثنين وفضل محمد على الحسن رضي الله عنهم أجمعين . وقال الصيمري أيضاً أخبرنا عبد الله بن محمد الشاهد قال حدثنا مكرم قال حدثنا عبد الوهاب بن محمد قال سمعت الحسن بن أبي مالك قال كان الحسن بن زياد إذا جاء إلى أبي يوسف أهمته نفسه .

وقال ابن شجاع سمعت ابن زياد يقول : مكثت أربعين سنة لا أبيت إلا والسراج بين يدي . وكفى للحسن بن زياد فخراً أن تكون منزلته عند أستاذه أبي يوسف كما في تلك الروايات . وسهره في سبيل العلم أربعين سنة هكذا جعله خالد الذكر بين فقهاء هذه الأمة . وبطريقه ينقل ابن جرير مذاهب فقهاء الكوفة في اختلاف الفقهاء في حين أنه يهمل بالمرّة ذكر آراء أمثال الإمام أحمد وداود في الفقه لأنهم ليسوا بفقهاء في نظره . وهذا موقف عبث لمن يعتبر . والحسن بن زياد على براعته هكذا في الفقه كثير الحديث . قال الصيمري أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحلواني قال حدثنا مكرم قال حدثنا أحمد قال سمعت ابن سماعة قال سمعت الحسن بن زياد قال : (كتبت عن ابن جريج اثني عشر ألف حديث كلها يحتاج إليها الفقهاء) وهذا ليس بعدد قليل في أحاديث الأحكام في حين أن أحاديث أبي حنيفة أربعة آلاف حديث نصف ذلك عن شيخه حماد والباقي عن سائر مشايخه . كما روى ذلك الحسن بن زياد على ما في مناقب الموفق (١ - ٩٦) وأحاديث مالك المسندة في الموطأ نحو ستمائة حديث . وفي مناقب الكردي (٢ - ٢٠٩) : ذكر السمعاني عن الفتح بن عمرو عنه قال وافيت مكة فإذا أنا ببيحي بن سليم الطائي جالسا ونفر يقرأون كتاب المناسك لابن جريج وكان يقول قال لي عطاء وسألت عطاء



فأعجب بها . وقال : أين أبو حنيفة من هذه المسائل ؟
فقلت قد جاء وقت الكلام فقلت له : رحمك الله أما الإمام
فقد مضى لسبيله وأنا من أصغر تلامذته أفتأذن لي في
الكلام فقال لي من أنت ؟ فقلت : الحسن بن زياد قال :
لا فلو أذن لي في الكلام لتركته نكالا للعالمين . أقول وهو
كذلك فأني يقوى مثل يحيى بن سليم أمام هذا الجدلي
العظيم ؟ وقال نصير بن يحيى سأل رجل خلف بن أيوب
عن مسألة فقال لا أدري فقال : دلني على من يعرف .
قال الحسن بن زياد بالكوفة قال : إنه بعيد قال خلف : من
همه الدين فالكوفة إليه قريبة . وقال نصير بن يحيى قلت
لخلف من الحجة اليوم ؟ قال : الحسن بن زياد . فأعاد
السؤال ثلاثاً فقال : الحسن هو حجة . وقال محمد بن
عثمان الفقيه : قدم الحسن بغداد فجاءه أبو يوسف فقال
الحسن : هل أحدثت تلميذاً قال أبو يوسف : نعم بشراً عن
مسألة فأخطأ ثم عن ثانية وثالثة ورابعة فأخطأ فقال الحسن
لأبي يوسف : نعمة الخليفة أفسدت ارجع إلى الكوفة ودم
على الطعام الذي عليه كنت بها . يريد ببشر بن الوليد
الكندي .

* * *

بعض ما قاله الحسن بن زياد عن أبي حنيفة

وفي مناقب الموفق (١ - ٩٦) قال الحسن بن زياد (كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث : ألفين لحماذ وألفين لسائر المشيخة) ولعلها هي التي انتخبها من أربعين ألف حديث كانت عنده كما يذكر عن محمد بن شجاع ، وما عنده من صناديق في الحديث محكي في الكتب . وفي المناقب (١ - ١٧٠) سمع الحسن بن زياد أبا حنيفة يقول : كانت ولاية بني أمية لا يدعون بالموالي من الفقهاء للفتيا ، وأول من دعا بالموالي فلان (ذكر رجلاً منهم سماه) قال أبو حنيفة فدعيت فيمن دعي فدخلت فإذا ابن أبي ليلى وابن شبرمة عنده عن يمينه وعن شماله فقال لأحدهما ما تقول في امرأة تزوجت في عدتها ؟ فقال أحدهما : يفرق بينهما ويضرب ضرب النكال ، ويجعل مهرها في بيت المال ، ولا يجتمعان أبداً وقال للآخر ما تقول ؟ فقال : مثل ذلك . قال : فنظر الخليفة إلى فقال : ما تقول يا نعمان ؟ فاسترجعت في نفسي وقلت : أول ما دعيت وسئلت وأنا أقول فيها بقول علي عليه السلام وبه أدين الله تعالى فكيف أصنع ؟ ثم عزم أن أصدقه وأفتيه بالذي أدين الله به ، وذلك أن بني أمية كانوا



لا يفتون بقول علي عليه السلام ولا يأخذون به فقالت : أصلحك الله اختلف فيها رجلان بدریان فقال لي : ما قالا ؟ قلت : قال أحدهما كالذي قال أبي ليلي وابن شبرمة قال : ومن هو ؟ قلت : عمر بن الخطاب عليه السلام . قال : وما قال الآخر ؟ قلت : قال يفرق بينهما وتعتد بقية عدتها من الأول ثم تعتد عدة مستأنفة من الآخر إن كان دخل بها ثم يفرق بينهما ولها مهرها بما استحل من فرجها يدفع إليها ولا يجعل في بيت المال فإذا انقضت عدتها فإن شاء تزوج بها نكاحاً جديداً بمهر جديد . فقال لي : يا نعمان من هذا ؟ قلت : علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لي : أبو تراب ؟ قلت نعم . ثم قلت : وما تقول أنت ؟ فنكس رأسه ونكت بقضيب كان في يده ورفع رأسه إلي وقال لي : يا نعمان والله إنه لأشبه القولين بالحديث . هذا ما رواه الحسن بن زياد وزاد عليه الموفق وقال : أورد هذا الحديث الإمام أبو القاسم بن علي الرازي نزيل همدان عن محمد بن مقاتل ، وهو ممن أدرك الحسن بن زياد . وزاد : قال ابن هبيرة بأي القولين تأخذ ؟ قال قلت : عندي عمر أفضل من علي عليه السلام وأخذ في هذا بقول علي عليه السلام . فقال : أنا أرى ذلك وإنما قال أبو حنيفة : عمر أفضل من علي عليه السلام لنألا يقول ابن هبيرة أنا اختار قول عمر عليه السلام . وكان علي لا يذكر في ذلك الزمان باسمه وكانت العلامة فيه بين المشايخ بأن يقولوا : قال الشيخ كذا

وكان الحسن البصري يقول فيه أخبرنا أبو زينب لأن من كان يذكره باسمه يعاقبه بنو مروان فلماذا اختاروا الكناية عنه . فتبين من هذا أن الوالي الأموي المكني عنه في صدر الحكاية هو ابن هبيرة . وفي المناقب (١ - ١٧٣) أيضاً قال الحسن بن زياد : سمعت أبا حنيفة وسئل من أفقه من رأيت ؟ قال ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهبيّ له من المسائل الشداد فهيأت له أربعين مسألة ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحبيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر فسلمت عليه وأوماً إليّ فجلست ثم التفت إليه فقال يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة فقال : نعم ثم أتبعها قد أتانا كأنه كره ما يقول فيه قوم إنه إذا رأي الرجل عرفه . قال ثم التفت إليّ فقال يا أبا حنيفة ألقي على أبي عبد الله من مسائلك ، فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول : أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة ما أدخل منها بمسألة ثم قال أبو حنيفة رحمه الله : ألسنا رويناً أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس . وفي (١ - ١٨٥) بطريق نمر بن جدار عن الحسن بن زياد قال دفن رجل مالا في



موضع ثم نسي أي موضع دفنه فيه فطلبه فلم يقع عليه فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة ليس هذا فقهاً فأحسّ لك لكن اذهب فصل الليلة إلى الغد فانك ستذكر أي موضع دفنته فيه ففعل الرجل فلم يبق إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر أي موضع دفنه فيه فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال : قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي ليلتك حتى يذكرك ويحك فهلا أتممت ليلتك شكراً لله تعالى ؟ وفي (١ - ٢١٤) بطريق إبراهيم بن إسماعيل الطلحي عن الحسن بن زياد : ما قبل أبو حنيفة لأحد جائزة ولا هدية . أي من الأمراء ، أو من غير أن يهدي إليه ما هو أثنى من هديته ، أو فيما علم الحسن بن زياد جمعاً بين الروايات . وفي (٢ - ٣) عن الحسن بن زياد حلفت أم أبي حنيفة بيمين فحنثت فاستفتت أبا حنيفة فلم تررض وقالت لا أرضى إلا بما يقول زرعة القاص فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال هذه أُمي تستفتيك في كذا وكذا قال أنت أعلم مني وأفقه فأفتتها أنت قال أبو حنيفة قد أفتيتها بكذا وكذا فقال زرعة القول كما قال أبو حنيفة فرضيت وانصرفت . والمسجد الذي كان يقص فيه زرعة هو مسجد الحضرميين في الكوفة في رواية طويلة لحجر بن عبد الجبار الحضرمي . وفي (٢ - ٤٣) من رواية أبي هشام الرفاعي عن الحسن اللال (وهو بن زياد) كان أبو حنيفة بحراً لا يدرك عمقه وما علمنا عنه علمه إلا

كالخيال) . وفي (٢ - ٨٠) من رواية المعاني بسنده عن الحسن بن زياد عن أبي يوسف سمعت أبا حنيفة يقول : (رأيت المعاصي نذالة فتركها مروءة فصارت ديانة) ونظم بعضهم هذا المعنى . وفي (٢ - ٨٣) من رواية الوليد بن حماد عن عمه الحسن بن زياد عن أبي حنيفة : (ما قاتل أحد عليا إلا وعلى أولى بالحق منه ولولا ما سار على فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين) . وفي (٢ - ٨٤) عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة : (لاشك أن أمير المؤمنين عليا إنما قاتل طلحة والزبير بعد أن بايعاه وخالفاه) وفي (٢ - ٩٩) بالإسناد إلى الحسن بن زياد : (سمعت أبا يوسف يقول اجتمعنا عند أبي حنيفة في يوم مطير في نفر من أصحابه منهم داود الطائفي ، وعافية الأودي ، والقاسم بن معن المسعودي وحفص بن غياث النخعي ، ووکیع بن الجراح ومالك بن مغول ، وزفر بن الهذيل وغيرهم فأقبل علينا فقال : أنتم مسار قلبي وجلاء حزني قد أسرجت لكم الفقه وأجمته فإذا شئتم فاركبوا وقد تركت لكم الناس يطأون أعقابكم ويلتمسون ألفاظكم ونزلت لكم الرقاب وما منكم أحد إلا وهو يصلح للقضاء ، وفيكم عشرة يصلحون أن يكونوا مؤدبي القضاء فسألتكم بالله وبقدر ما وهب الله لكم من جلاله العلم لما صنتموه عن ذل الاستئثار فإن بلي رجل منكم بالدخول في القضاء فعلم من نفسه خربة سترها الله



تعالى عن العباد لم يجز قضاؤه ولم يطب له رزقه وإن كانت سريرته مثل علانيته جاز قضاؤه وطاب له رزقه فإن دفعته ضرورة إلى الدخول فيه فلا يجعلن بينه وبين الناس حجاباً وليصل الصلوات الخمس في الجامع وليناد عند كل صلاة من له حاجة فإذا صلي صلاة العشاء الآخرة نادي ثلاثة أصوات من له حاجة ثم دخل إلى منزله فإن مرض مرضاً لا يستطيع الجلوس معه أسقط من رزقه بقدر مرضه وأيما إمام غل فيئاً أو جار في حكمه بطلت إمامته ولم يجز حكمه ، وإن أذنب ذنباً فيما بينه وبين الناس أقامه عليه أقرب القضاة إليه . فياله من عالم ومعلم ومؤدب لأصحابه . وفي رواية أخرى عند الخطيب (١٤ - ٢٤٧) قال أبو حنيفة يوماً أصحابنا هؤلاء ستة وثلاثون رجلاً منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء ومنهم ستة يصلحون للفتوى ومنهم اثنان يصلحان يؤدبان القضاة وأصحاب الفتوى . وأشار إلى أبي يوسف وزفر . والظاهر أن الروايين بالنظر إلى الذين حضروا في مجلس وآخر والله أعلم .

* * *

شيوخ الحسن بن زياد وأصحابه وتلاميذه

تفقه الحسن بن زياد على أبي حنيفة وداود بن نصير
وحمد بن أبي حنيفة ، وزفر بن الهذيل ، وأبي يوسف
وسمع من سعيد بن عبيد الطائي ، وعبد الملك بن جريج
ومالك بن مغول ، ووكيعة وأيوب بن عقبة والحسن بن
عمارة وعيسى بن عمر الهمداني مقرئ الكوفة بعد حمزة
وغيرهم . وأخذ عنه الفتح بن عمرو الكشي ، وأبو هشام
الرفاعي ونصير بن يحيى البلخي ومحمد بن سماعة
القاضي وإسحاق بن بهلول التنوخي الحافظ . وشعيب بن
أيوب الصريفي والوليد بن حماد اللؤلؤي ابن أخيه .
وإبراهيم بن إسماعيل الطلحي وطاهر بن أبي أحمد
وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وخلف بن أيوب البلخي
والرشيد والمأمون ونمر بن جدار والإمام محمد بن شجاع
الثلجي وعلي بن هاشم بن مرزوق وإسماعيل الفزاري
ومحمد بن مقاتل الرازي وعمرو بن مهير والد الخفاف
وأحمد بن سليمان الرهاوي وأحمد بن عبد الحميد الحارثي
وإبراهيم بن عبد الله النيسابوري وغيرهم .

ومروياته من الحديث عن أبي حنيفة مدونة في مسنده
المروى عند المسندين في عداد المسانيد السبعة عشر

المروية عن أبي حنيفة ولاسيما في الفهرست الأوسط لابن طولون وعقود الجمان للحافظ محمد بن يوسف الصالحي وثبت الشيخ أيوب الخلوئي وحصر الشارد لمحمد عابد السندي وغيرها كما سيأتي ، ومروياته عن ابن جريج فقط نحو اثني عشر ألف حديث وهذا العدد لا يستكثر على مثله وقد أقر أهل الحديث لأحد تلاميذه بأنه روى خمسين ألف حديث وهو إسحاق بن بهلول التنوخي كما شهد أهل العلم أن كتب تلميذه الآخر محمد بن شجاع الثلجي تحتوي على ثلاثة وسبعين ألف حديث كما سيأتي . وترى النقلة يعزرون رواية ألف ألف حديث ومائة ألف حديث ونحو ذلك لأناس دون طبقة الحسن بن زياد ومع ذلك تراهم لا يستكثرون تلك الأعداد الضخمة عليهم وحين أتى دور التحدث عن الحسن بن زياد الذي أفنى عمره في علوم الرواية والدراية يستكثرون عليه أن يكون كتب عن ابن جريج نحو اثني عشر ألف حديث ، والله في خلقه شئون . وقد ذكر الخطيب في ترجمة أبي يعقوب إسحاق بن البهلول الحافظ (٦ - ٣٦٦) أنه كان فقيهاً حمل الفقه عن الحسن بن زياد وعن الهيثم بن موسى صاحب أبي يوسف القاضي ثم قال في (٦ - ٣٦٨) : (حدث إسحاق بن بهلول من حفظه ببغداد بأكثر من خمسين ألف حديث) ويقول الموفق المكي في (١ - ٩٥) : (أن محمد بن شجاع ذكر في تصانيفه نيفا وسبعين ألف حديث

عن النبي ﷺ مما فيها نظيرها من الصحابة (وهذا أيضاً من أشهر أصحاب الحسن بن زياد . وهو كثير الحديث بهذه الدرجة حتى يقول محمد بن إسحاق النديم عن ابن شجاع هذا : (مبرز على نظرائه من أهل زمانه . وكان فقيهاً ورعاً ثباتاً على آرائه . وهو الذي فتق فقه أبي حنيفة واحتج له . وأظهر علله وقواه بالحديث وحلاه في الصدور) وعده الذهبي في سير النبلاء من بحور العلم وقال الحاكم : (أنه كثير الحديث كثير التصنيف ورأيت كتابه في المناسك في نيف وستين جزءاً كباراً دقاً) راجع معرفة علوم الحديث له (٢٢٤) ومن يكون تلامذته بهذا الإكثار من الحديث كيف يستكثر على شيخهم الذي تخرجوا عليه أن يكون حمل عن ابن جريج اثني عشر ألف حديث .

* * *

مؤلفات الحسن بن زياد

ولله مؤلفات معروفة منها كتاب المجرد لأبي حنيفة يحتوي على ما رواه عن أبي حنيفة من المسائل وأدلتها ، وفي الجامع الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني المطبوع بمعرفة لجنة إحياء المعارف النعمانية في حيدر آباد الدكن في الهند بتحقيق العلامة أبي الوفاء الأفغاني حفظه الله تجد نماذج من كتاب المجرد منشورة في هوامشه احتفاظاً بما في الأصل المنقول عنه من النصوص القديمة المدرجة فيه .

ومن كتاب المجرد هذا جرد محمد بن إبراهيم بن حبيش البغوي أحاديثه التي رواها الحسن بن زياد اللؤلؤي عن أبي حنيفة حيث كان ابن حبيش سمع المجرد من محمد ابن شجاع الذي كان سمعه من الحسن بن زياد ، والمسند المعروف باسم الحسن بن زياد يحتوي على أحاديث كتاب المجرد المسموعة من أبي حنيفة . وسنذكر في فصل خاص إن شاء الله نحو ستين حديثاً انتقاها من المسند المذكور المحدث عفيف الدين علي بن عبد المحسن الدواليبي الحنبلي لتكون كنماذج من مروياته الكثيرة . ومنها كتاب أدب القاضي ، وكتاب الخصال ، وكتاب معاني الإيمان ، وكتاب النفقات ، وكتاب الخراج ، وكتاب

الفرائض ، وكتاب الوصايا على ما ذكره محمد بن إسحاق النديم في الفهرست . ونسب النقي المقرئ إليه في تذكرته كتاب المقالات نقلا عن المبسوط وأقره الحافظ القاسم بن قطلوبغا في تاج التراجم وزاد البدر العيني في المغاني في عداد مؤلفاته : كتاب التهمة ، وكتاب الإجارة ، وكتاب الصرف وأما ما يعزي إليه من جزء فيما سمعه من القراءات من أبي حنيفة برواية ابنه محمد بن الحسن بن زياد فكذب ملفق لا صلة لها بأبي حنيفة ولا بالحسن بن زياد . وقد ثبت عن أهل العلم أن ملفقها هو أبو الفضل الخزاعي القارئ المكشوف الأمر . وإن تكلف ابن الجزري في تبرئة ساحته من ذلك وإنما قراءة أبي حنيفة هي قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود (ح) وعن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي كرم الله وجهه . وفي الطريقين من قراءة عاصم الفاتحة والمعوذتان وقراءته في أعلى درجات التواتر . فيؤسف على سرد تلك القراءات في بعض كتب التفسير والمناقب مع محاولة توجيهها كقراءات لأبي حنيفة مروية بطريق الحسن بن زياد عنه . مع أنها قراءات مكذوبة عليه (كما ذكرت في تأنيب الخطيب وغيره تحقيق أهل الشأن في ذلك) . راجع التأنيب (ص ٢٩) .

* * *

توليته القضاء واتصاله بالأمراء

كانت تولية الحسن بن زياد القضاء سنة ١٩٤ هـ بعد وفاة حفص بن غياث القاضي . قال الصيمري أخبرنا عبد الله بن محمد قال حدثنا مكرم قال حدثنا أحمد قال حدثنا أحمد بن يونس قال : لما ولي الحسن بن زياد القضاء لم يوفق فيه وكان حافظاً لقول أصحابه فبعث إليه البكائي : ويحك إنك لم توفق في القضاء وأرجو أن يكون هذا لخيرة أرادها الله بك فاستعف فاستعفى واستراح وقال الخطيب أخبرني الأزهرى عن أحمد بن إبراهيم بن الحسن عن إبراهيم بن محمد بن عرفة قال : توفي الحفص ابن غياث في سنة ١٩٤ هـ فجعل مكانه (يعني على القضاء) الحسن بن زياد اللؤلؤي . وقال أيضاً أخبرنا أبو بكر البرقاني حدثني محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك الأدمي حدثنا محمد بن علي الأيادي حدثنا زكريا بن يحيى الساجي . قال : يقال أن اللؤلؤي كان على القضاء ، وكان حافظاً لقولهم (يعني أصحاب الرأي) وكان إذا جلس ليحكم ذهب عنه التوفيق حتى يسأل أصحابه عن الحكم في ذلك ، فإذا قام عن مجلس القضاء عاد إلى ما كان عليه من الحفظ . ولا يكون هذا إلا من تهيبه القضاء وخوفه من الله في الحكم ، وبين من ولوا

القضاء على خلاف رغبتهم أناس يتحاشون الحكم لذلك بأن يصلحوا بين المتخاصمين بتحمل القاضي الغرامة وهذا نوع من الورع لا يمكن أن يتخذ أساساً للقضاء فسبيل مثله أن يستعفي ويستريح كما فعل الحسن ابن زياد وحكى العقيل عن إدريس بن عبد الكريم عن إسحاق بن إسماعيل قال : كنا عند وكيع فقيل له أن السنة مجدبة قال : وكيف لا تجذب وحسن اللؤلؤي قاض وحماد بن أبي حنيفة والعقيلي لا يهدأ له بال إلا بالنيل من أبي حنيفة وأصحابه حتى لا يذكر لأحد منهم منقبة واحدة مع كونهم قادة الأمة في الفقه رغم انف العقيلي وأذياه من الحشوية ولذا رد عليه صاحبه ابن الدخيل رداً مشبعاً كما ذكرت ذلك في مواضع في التأنيب وغيره من كتبي ولم يدبر العقيلي هذه الفرية حيث أن شطر هذا الخبر يدل على كذب الشطر الآخر لأن حماد بن أبي حنيفة توفي سنة ١٧٦ هـ واللؤلؤي إنما ولي القضاء سنة ١٩٤ هـ فلا يكون قضاؤهما في زمن واحد حتى يصح هذا القول بل لا يعلم أن حماد بن أبي حنيفة ولي القضاء حتى يمكن أن يقال هذا القول بل لم يستمر الحسن بن زياد على القضاء إلا مدة يسيرة لا تفسد معها بركة العام ! حيث استقال من القضاء سريعاً ولم يتمسك بكرسي الحكم كغيره فقبلت استقالته وإسحاق الطلقاني يكذبه أناس وإن مشاه أناس كما يظهر من تاريخ

الخطيب على أن من بلغ مبلغ العقيلي من التعصب المزرى لا يكون موضع تعويل في مثل هذا الخبر نسأل الله السلامة . وكان الحسن بن زياد رجلاً صريحاً لا يعرف المداواة ولا المداهنة ، ولا يحسن السياسة مع خلطائه ، حتى إنه لم يوفق في اتصالاته بالأمراء ، وقد اتصل بالرشيد فأخفق واتصل بالمأمون فأخفق ، وكان من العلماء الذين يحضرون مجلس الرشيد في ليالي رمضان لمذاكرة العلم فأقبل الرشيد عليهم فقال : سلوا فألقي عليه الحسن اللؤلؤي مسألة من المعقدات فأقبل عليه أبو يوسف فقال ليس هذا مما يسأل عنه أمير المؤمنين ثم أخذ أبو يوسف يتكلم في العلم إصلاحاً للوضع ثم قال للحسن : يا ضعيف مثل هذه المسألة المعقدة تلقى على الخلفاء ؟ لو أقيمت هذه على بعضنا ما قام بها فقال اللؤلؤي . فلم قال سلونا ؟ وكان الرشيد إذا صلى مسح بيده موضع سجوده ثم مسح به وجهه فقال له الحسن بن زياد : إن هذا الذي يفعله أمير المؤمنين بدعة فعمن أخذه ؟ قال : رأيت آبائي يفعلونه فأنا أقتدي بهم فأقبل أبو يوسف وتكلم بما يصلح الموقف فلما انصرف أمر الرشيد بحجب اللؤلؤي عنه كما في رواية طويلة ذكرها بن أبي العوام الحافظ .

وقال الصيمري أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن خلف قال حدثنا الحسين بن حميد النحوي قال حدثنا إبراهيم بن الليث الدهقان عن بعض أصحابه قال :

كان الرشيد أمر الحسن بن زياد اللؤلؤي أن يسير إلى المأمون أيام كان بالرقّة كل أسبوع يوماً فيذكره الفقه ويسأله عن الحديث واختلاف الناس فيه قال فبينما اللؤلؤي في بعض الليالي عنده بالرقّة يحدثه إذ نعس المأمون فقال له اللؤلؤي : سمعت أيها الأمير ففتح عينيه فقال : سوقي والله يا غلام خذه بيده فأخرجه . فأخرج فلم يدخل عليه بعد ذلك فبلغ الرشيد فقال متمثلاً :

وهل ينبت الخطمي إلا وشيجه ويغرس إلا في منابتها النخل

وهذا مما يدل على أنه كان قوي النفس لا يعامل الكبار معاملة خاصة ، وهذا مما لا يستسيغه الأمراء والكبراء ، ولو كان يرعى السياسة المرعية لانتفع بعلمه الكبار والصغار ، ولعله لم يكن يرتاح إلى الاتصال بهم لانصرافه إلى العلم فأبدى شذوذاً عن الرسوم المرعية ليستغنوا عنه فحصل له ما كان يريد والله أعلم .

وهذه الأنباء تدل على نفسية الحسن بن زياد وعلى أنه كان من خيرة العلماء في عصره في الفقه والحديث ومعرفة الاختلاف حيث كان وقع الاختيار عليه لمجالسة مثل الرشيد وتعليم مثل المأمون وإن أخفق فيهما لحالته الروحية .

* * *

كثرة حديث الحسن بن زياد

تلقى الحسن بن زياد الحديث عن كثير من شيوخ العلم وما كتبه عن ابن جريج فقط من الأحاديث التي يحتاج إليها الفقهاء نحو اثني عشر ألف حديث كما حكى ذلك الصيمري والخطيب وغيرهما. ومن استكثر عليه هذا العدد مع استساغته أن يروى من هو دون طبقته خمسين ألف حديث عن ظهر قلب أو مائة ألف حديث أو ألف ألف حديث إنما يستكثر كتابته لذلك العدد عنه لحاجة في النفس وللحسن بن زياد مسند معروف في مروياته عن أبي حنيفة ، وهو أحد المسانيد السبعة عشر لأبي حنيفة المذكور أسانيداً في الفهرست الأوسط للحافظ الشمس ابن طولون وفي عقود الجمان للحافظ محمد بن يوسف الصالحي مؤلف السيرة الكبرى الشامية وفي ثبت المسند الشيخ أيوب بن أحمد الدمشقي الخلوتي وفي حصر الشارد في أسانيد محمد عابد السندي محدث القرن المنصرم . وقد ساق المحدث علي بن عبد المحسن الدواليبي الحنبلي سنده في مسند الحسن بن زياد في ثبته المحفوظ في ظاهرة دمشق تحت رقم ٢٨٥ من

الحديث (١) وقال : مسند الإمام المقدم أبي حنيفة النعمان ابن ثابت الكوفي الفقيه رحمة الله عليه رواية الحسن ابن زياد اللؤلؤي عنه عن شيوخه مما استخرج من كتاب المجرد رواية محمد بن شجاع الثلجي عنه قراءة على والدي جمال الدين قال والدي رحمه الله وقد سمعته على جدي الشيخ عفيف الدين أبي عبد الله محمد بن أبي محمد عبد المحسن بن أبي الحسن عبد الغفار الخراط المحدث بقراءة الشيخ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن عمر القزويني المحدث أمام جامع الخلافة ببغداد قلنا له أخبرنا أبو طاهر إبراهيم بن محمد ابن أحمد بن حمديه البيع قراءة عليه ونحن نسمع يوم الأحد خامس جمادى الأولى من سنة تسع وثمانين وخمسمائة قال أنبأنا الشيخ أبو القاسم عبد الله ابن الحسن بن محمد بن الحسن الخلال في ربيع الآخر من سنة سبع وخمسين وأربعمائة قال أنبأنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن حمة قراءة عليه وأنا أسمع في شعبان سنة ست وتسعين وثلاثمائة قال أنبأنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن حبيش البغوي المعدل قراءة عليه في عشية يوم الأربعاء

(١) ومعه استدعاء بخطه يستجير ابن حجر فأجازه بخطه وأثنى عليه بكل خير وإن تكلم فيه في غير هذا الموضع ، توفي سنة ٨٦٢ بدمشق (ز) .

من شهر رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجي وتوفي في آخر سنة ست وستين ومائتين وولد ابن حبيش يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، قال محمد بن شجاع أخبرنا الحسن بن زياد اللؤلؤي عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى ورضي عنه (ح) (١) قال والدي وسراج الدين عمر رحمهما الله : وقلنا له أيضاً أخبرك أبو نصر الأعز بن أبي الفضائل بن العليق وعجبية بنت محمد بن أحمد الباقداري إجازة إن لم يكن سماعاً عليهما أو على أحدهما قالاً أنبأنا كذلك حجة العرب أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد الخشاب قال أنبأنا الشيخ الإمام أبو عبد الله يحيى بن الحسن بن أحمد البناء بقراعتي عليه في يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول سنة سبع وعشرين وخمسائة بسنده المذكور . (ح) وقلنا له أيضاً أخبرتك عالياً أم آسية ضوء الصباح عجبية بنت محمد بن أحمد الباقداري إن لم يكن سماعاً عن الرئيس أبي الفرج مسعود بن الحسن ابن القاسم الثقفي إجازة عن الشريف بن الحسين محمد ابن علي بن محمد بن المهدي بالله عن أبي الحسين

(١) علامة التحول من سند الحديث إلى سند آخر أو هو علامة حصر

عبد الرحمن بن عمر بن احمد ، وتوفي ليلة الأحد سادس عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة بسنده أعلاه . (ح) قال والدي وسراج الدين رحمهما الله هذه طريقة سند الشيخ عفيف الدين وقال الشيخ سراج الدين عمر القارئ لهذا المسند على جدي الشيخ عفيف الدين رحمهما الله : وأنا أرويه أيضاً عن جماعة منهم أبو عبد الله محمد ابن أبي القاسم عبد الله بن عمر المقرئ وأبو الفضل سليمان ابن حمزة بن أحمد المقدسي وأبو بكر عبد الله بن منصور بن أبي السعادات الخطيب الباصري إجازة بخطوطهم مراراً بروايتهم كذلك عن أبي محمد الأنجب أبي السعادات بن عبد الرحمن الحمامي بروايته عن الرئيس أبي الفرج مسعود بن الحسن الثقفي بسنده . ويقول كاتب الحروف محمد زاهد الكوثري لم أسق أحاديث بطرق أئمتنا زفر بن الهذيل وأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني وأبي جعفر الطحاوي رحمهم الله في تراجمهم لكثرة ما طبع من الكتب المحتوية لأحاديثهم وأما الإمام الحسن بن زياد فمع كثرة حديثه لم يطبع إلى الآن كتاب يحتوي أحاديثه فأحببت أن أسوق في هذا الفصل ستين حديثاً من أحاديثه في مسنده كما فعل الدواليبي في ثبته حيث قال : يقول مسطر هذه الأحرف عفيف الدين أبو المعالي علي بن المولي الشيخ العلامة رحلة زمانه جمال الدين

أبي المحاسن عبد المحسن الواعظ المحدث وخطيب جامع الخلافة ببغداد : وأريد أن أذكر بعض سندي هذا إلى مسنده ستين حديثاً مسندة بسند آخر تبركاً بهذا الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم رحمه الله تعالى مرتبة على أبواب الفقه نفع الله بها جامعها وكاتبها وراويها وحافظها والعامل بها إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

(الحديث الأول) : حدثني والدي وشيخي وأستاذي ومن عليه في العلوم اعتمادني المولي الشيخ الإمام الرحلة جمال الدين أبو المحاسن عبد المحسن الواعظ خطيب جامع الخلافة ببغداد عرف ابن الدواليبي الأزجي الحنبلي رحمه الله تعالى قال حدثنا سيدنا وشيخنا المولي الشيخ الإمام شيخ الإسلام وقدوة الأنام محيي السنة وقامع البدعة سراج الملة والدين أبو حفص^(١) عمر ابن السيد علي ابن عمر القزويني المقرئ المحدث الشافعي المدرس بالمدرسة النقفية والإمام بجامع الخليفة ببغداد رحمه الله تعالى ورضي عنه أمين قال أخبرنا الشيوخ المحمدون العراقيون السلاميون أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد المحسن بن أبي الحسن الأزجي البغدادي بقراعتي عليه وأبو عبد الله محمد بن ناصر بن أحمد الحلاوي وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر بن أبي القاسم

(١) وثبته بدار الكتب المصرية (ز) .

وأبو بكر محمد بن أبي منصور بن أبي السعادات الخطيب
البابصري البغداديون سماعاً ومن أهل الشام مسند الشام
قاضي القضاة أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد
المقدسي وأبو محمد القاسم بن محمود بن عساكر
الدمشقيان وغيرهم إجازة بخطوطهم مراراً قالوا جميعاً
أنبأنا أم آسية ضوء الصباح لامعة وتدعي عجيبة بنت
الحافظ أبي بكر محمد بن أحمد بن مرزوق الباقداري وقال
الأربعة الآخرون أنبأنا أيضاً أبو محمد الأنجب بن أبي
السعادات بن عبد الرحمن الحمامي وأبو العباس أحمد
ابن يعقوب بن عبد الله المارستاني قالوا جميعاً أخبرنا
مسند الدنيا الرئيس أبو القاسم مسعود بن الحسن بن القاسم
الثقفي الأصبهاني قال أخبرنا الشريف أبو الحسين محمد
ابن علي بن عبيد الله بن عبد الصمد المهدي بالله أمير
المؤمنين قال أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر
ابن أحمد بن حمة في بعض شهور سنة تسعين وثلاثمائة
قال أخبرنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن حبيش البغوي
المعدل قراءة عليه في رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة
قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجي قال حدثنا
الحسن بن زياد اللؤلؤي قال حدثنا الإمام أبو حنيفة النعمان
ابن ثابت عن أبي فروة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال
خرجنا مع حذيفة رضي الله عنه فنزلنا معه على دهقان
بالمداين فأتانا بطعام ثم أتانا بشراب في إناء من فضة

فتناولوه حذيفة رضي الله عنه فضرب به وجه الدهقان فسألنا ما صنع . فقال أتدرون لم صنعت هذا به ؟ فقلنا : لا . فقال : فإني نزلت به في العام الماضي فأتانا بشراب في هذا الإناء فأخبرته أن رسول الله ﷺ نهى أن نأكل في أنية الذهب والفضة وأن نشرب فيها ونهانا أن نلبس الحرير والدباج وقال إنما هو للمشركين في الدنيا وهو لنا في الآخرة .

(الحديث الثاني) : وبالإسناد المذكور إلى اللؤلؤي قال حدثنا أبو حنيفة رحمه الله تعالى ورضي عنه عن علقمة ابن مرثد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : نهيتكم عن النبيذ في الدباء والحنتم والمزفت فاشربوا في كل ظرف فإن الظروف لا تحل شيئاً ولا تحرمه ولا تشربوا المسكر .

(الحديث الثالث) : وبالإسناد المذكور قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى حدثنا خالد بن علقمة عن عبد خير عن علي ؓ أنه دعا بماء فغسل كفيه ثلاثاً ومضمض ثلاثاً واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً وغسل ذراعيه ثلاثاً ومسح رأسه وغسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال : هذا وضوء رسول الله ﷺ .

(الحديث الرابع) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : الوضوء مفتاح الصلاة

والتكبير تحریمها والتسليم تحليلها ولا تجزيء صلاة إلا بفاتحة الكتاب ومعها غيرها وفي كل ركعتين تسليم يعني التشهد .

(الحديث الخامس) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن حذيفة رضي الله عنه أنه خرج وهو جنب فبصر به النبي ﷺ (فمشي) ليضع يده على يد حذيفة فأخراها حذيفة فقال إني جنب يا رسول الله فقال النبي ﷺ : أدن يدك فإن المؤمن لا ينجس .

(الحديث السادس) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصيب من أهله أول الليل ثم ينام وما يمس ماء فإذا استيقظ من آخر الليل فإن كان له حاجة عاودها ثم اغتسل .

(الحديث السابع) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ فيصلي فيه .

(الحديث الثامن) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني استحاض فلا أطهر الشهرين والثلاثة . فقال لها رسول الله ﷺ : إذا أدبرت حيضتك فاغتسلي لطهرك وتوضئي لكل صلاة .

(الحديث التاسع) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن عبد الملك بن عمير عن قرعة^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا صلاة بعد صلاة الغداة حتى تطلع الشمس .

(الحديث العاشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن بلال عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم التكبير في الصلاة كلما ركعوا وسجدوا كما يعلمهم السورة من القرآن .

(الحديث الحادي عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن أبي الحسن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد ابن الهاد عن جابر عن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه صلي ورجل يقرأ خلفه فجعل رجل من أصحاب النبي ﷺ ينهاه عن القراءة في الصلاة خلف رسول الله ﷺ فتنازعا حتى ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ : من صلي خلف إمام فقراءة الإمام له قراءة .

(الحديث الثاني عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن أبي الحسن عن أبي الوليد عن جابر رضي الله عنه قال انصرف رسول الله ﷺ من صلاة الظهر والعصر فقال : من قرأ سبح اسم ربك الأعلى ؟ فسكت القوم مراراً فقال رجل :

(١) بفتحات (ز) .

أنا يا رسول الله . فقال لقد رأيتك قبل تنازعني أو تخالفني القرآن .

(الحديث الثالث عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا سلم عن يمينه لينصرف قال السلام عليكم ورحمة الله حتى يرى بياض خده الأيمن وإذا سلم عن يساره قال : السلام عليكم ورحمة الله حتى يرى بياض خده الأيسر .

(الحديث الرابع عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا إلى جنبه نائمة وعليه ثوب يصلي فيه وجانب الثوب على .

(الحديث الخامس عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن أبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل .

(الحديث السادس عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلحون أراضيتهم بأيديهم فكان الرجل يروح إلى الجمعة وقد عرق وتلطخ بالطين فكان يقول : من راح إلى الجمعة فليغتسل .

(الحديث السابع عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن الحبيب بن سالم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة والعديد بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية .

(الحديث الثامن عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن عبيد بن نسطاس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : من السنة حمل الجنازة بجوانب السرير الأربع فما زدت على ذلك فهو نافلة .

(الحديث التاسع عشر) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه ولا تقولوا هجراً .

(الحديث العشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن الهيثم عن ابن سيرين عن علي رضي الله عنه : أنه كان يكبر على الجنائز ستاً وخمساً وأربعاً فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم كان المسلمون على ذلك في خلافة أبي بكر وكانوا كذلك في أول خلافة عمر فلما رأى عمر اختلافهم جمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال متى تختلفوا يختلف من بعدكم فاجتمع رأيهم على أن ينظروا آخر جنازة كبر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض ف يأخذون بذلك ويرفضون ما سواه فنظروا فوجدوا آخر جنازة كبر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

قَبْضُ كَبْرٍ عَلَيْهَا أَرْبَعُ تَكْبِيرَاتٍ فَأَخَذُوا بِالْأَرْبَعِ وَتَرَكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ .

(الحديث الحادي والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها أنه بلغها أن أبا هريرة كان يفتي في مسجد الرسول ﷺ أنه من أصبح جنباً في رمضان فلا يصوم ذلك اليوم . فقالت يرحم الله أبا هريرة لم يحفظ لقد رأيت رسول الله ﷺ يخرج إلى صلاة الفجر ورأسه يقطر من ماء غسله من الجنابة ثم يصبح صائماً فبلغ ذلك أبا هريرة فرجع أبو هريرة ﷺ عن قوله وقال : هي أعلم مني .

(الحديث الثاني والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن عدي بن ثابت عن أبي الشعثاء عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ نهى عن صوم الوصال وصوم الصمت

(الحديث الثالث والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن عبد الملك بن عمير عن قزعة عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لا صيام هذان اليومان يوم الفطر ويوم الأضحى .

(الحديث الرابع والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن مسلم عن أنس ﷺ قال سافرت مع النبي ﷺ في شهر رمضان وهو يريد مكة فصام وصام المسلمون حتى إذا كان في بعض الطريق شكوا إليه المسلمون الجهد فدعا بماء فأفطر وأفطر المسلمون معه .

(الحديث الخامس والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة رحمته الله عن موسى بن طلحة عن ابن الحوتكية ^(١) أن عمر بن الخطاب رحمته الله أرسل إلى عمار رحمته الله وأمره أن يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأيام البيض فقال عمار : أهدى أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أرنبا مشوية فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأكلها وأبى الأعرابي أن يأكل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا تجعلهن البيض ؟ .

(الحديث السادس والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها : أنها كانت تغسل رأس الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف ، فيخرج رأسه إليها من المسجد فتغسله .

(الحديث السابع والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال خرج صبي ^(٢) ابن معبد وزيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة فلما أحرموا أحرم زيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة بالحج مفرداً وأما صبي بن معبد فإنه قرن العمرة والحج جميعاً فأقبلا يلومانه وقالاه أنت أضل من بعيرك أنقرن العمرة مع الحج وقد نهى أمير المؤمنين عن العمرة يعنون عمر رحمته الله فقال لهما أقدم على أمير المؤمنين وتقدموا فلما قدموا مكة وقضوا نسكهم مروا بالمدينة فدخلوا على عمر فقال

(١) وبالباء بدل التاء في الخلاصة (ز) .

(٢) بالتصغير مخضرم (ز) .

له زيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة يا أمير المؤمنين أن صبياً قرن العمرة والحج جميعاً فنهيناه عن ذلك فلم ينته فأقبل عمر على صبي فقال : ماذا صنعت يا صبي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أهلت بالحج والعمرة جميعاً فلما قدمت مكة طوفت طوافاً لعمرتي وسعيت بين الصفا والمروة لعمرتي وطفيت طوافاً آخر لحجتي ثم سعيت بين الصفا والمروة لحجتي ثم أقمت حراماً كما أنا حتى إذا كان يوم النحر ذبحت ما استيسر من الهدى ثم أحللت قال فضرب عمر رضي الله عنه على ظهره ثم قال هديت لسنة نبيك ﷺ .

(الحديث الثامن والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت طيبت رسول الله ﷺ حين أراد أن يحرم وكأني أنظر إلي وبيص الطيب في مفارقه وهو محرم .

(الحديث التاسع والعشرون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأله فقال يا أبا عبد الرحمن رأيتك حين أردت أن تحرم ركبت راحلتك واستقبلت القبلة ثم أحرمت فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ يفعل .

(الحديث الثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله

ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أفضل الحج العج والثج . فالثج نحر البدن والعج بالتلبية يعني رفع الصوت بها .

(الحديث الحادي والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال له يا أبا عبد الرحمن ما رأيك تطوف بالبيت فتجاوز الركن اليماني حتى تستلمه فقال إني أفعله فإني رأيت رسول الله ﷺ يفعله .

(الحديث الثاني والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لقد كنت أقتل قلائد الهدي لمحمد ﷺ ثم يقيم وما يعتزل منا امرأة .

(الحديث الثالث والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن هشام بن عروة عن أبيه عروة عن أبيه الزبير ابن العوام رضي الله عنه قال كنا نحمل لحوم الصيد معنا وننزود ونحن محرمون مع النبي ﷺ .

(الحديث الرابع والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل يدا بيد والفضل ربا والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد والفضل ربا . وبه عنه ﷺ : الذهب بالذهب مثلاً بمثل يدا بيد

والفضل ربا والفضة بالفضة مثلاً بمثل يدا بيد والفضل ربا .

(الحديث الخامس والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : لا يستام الرجل على سوم أخيه .

(الحديث السادس والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن أبي الزبير عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : من باع عبداً وله مال فماله للبائع إلا أن يشترط المبتاع .

(الحديث السابع والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : من باع نخلاً مؤبرة فالتمرة للبائع إلا أن يشترط المبتاع .

(الحديث الثامن والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن عبد الكريم عن المسور بن مخرمة عن رافع بن خديج ﷺ أنه قال عرض على سعد بن مالك ﷺ بيتاً فقال خذه أما إنني قد أعطيت به أكثر ما تعطيني ولكنك أحق به إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الجار أحق بسقبه .

(الحديث التاسع والثلاثون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن أبي سعيد الخدري

قال : قال رسول الله ﷺ : من استأجر أجيراً فليعلمه أجره .

(الحديث الأربعون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن الحكم عن عبد الله بن شداد بن الهاد أن ابنة^(١) حمزة (رضي الله عنها وعن أبيها) أعتقت غلاماً ثم مات المعتق وترك ابنته فأعطى رسول الله ﷺ ابنة المعتق النصف وأعطى ابنة حمزة النصف .

(الحديث الحادي والأربعون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها أنها أرادت أن تشتري بريرة فتعتقها فقال مواليتها : لا نبيعها إلا أن تشتري لنا ولأهنا . فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ فقال : الولاء لمن اعتق فاشتريتها عائشة فأعتقتها ولها زوج مولى لآل بني (هلال) فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت نفسها ففرق بينهما . وبه عنه بعد قوله فتعتقها : فأبى أهلها أن يبيعوها إلا ولهم ولاؤها فذكرت ذلك عائشة للنبي ﷺ فقال : لا يمنعك ذلك فإنما الولاء لمن أعتق . (وبه قال ابن شجاع : التأويل في ذلك عند أهل العلم انهم يعني البائعين أرادوا شيئاً لا يجوز وإذا أخبروا بأنه لا يجوز فقال ﷺ : لا يمنعك ذلك . قال فإن الذي قالوا لا يجوز

(١) هي أمانة (ز) .

وإذا أخبروا بأنه لا يجوز لم يثبتوا على طلب ذلك ورجعوا إلى أن يبيعوا على بيع السنة . إن الولاء لمن أعطى الثمن) .

(الحديث الثاني والأربعون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن عطاء بن السائب عن أبيه عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : دخل على رسول الله ﷺ يعودني في مرض فقلت يا رسول الله : أريد أن أوصي فأوصي بمالي كله ؟ قال : لا . قلت : فأوصي بنصف مالي ؟ قال : لا . قلت فأوصي بثلث مالي . قال : بالثلث ، والثلث كثير ، لا تدع أهلك يتكفون الناس .

(الحديث الثالث والأربعون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن أبي تميم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا تزوج المرأة على ثها ولا على خالتها .

(الحديث الرابع والأربعون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن متعة النساء وما كنا مسافحين .

(الحديث الخامس والأربعون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في متعة النساء : إنها كانت رخصة لأصحاب

محمد ﷺ ثلاثة أيام في غزاة لهم شكوا إليه فيها العزوبة
ثم نسخها آية النكاح والصداق والميراث .

(الحديث السادس والأربعون) : وبه قال حدثنا
أبو حنيفة عن حميد الأعرج عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال :
نهى رسول الله ﷺ عن إتيان النساء في أعجازهن .

(الحديث السابع والأربعون) : وبه قال حدثنا
أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه أن امرأة أتته فقالت يا أبا عبد الرحمن إن
زوجي مات عني ولم يدخل بي ولم يفرض لي صداقاً .
فلم يدر عبد الله ما يجيبها به فمكثت يرددها شهراً ثم
قال : ما سمعت من رسول الله في ذلك شيئاً وسأجته
برأيي فإن أصبت فمن الله وإن أخطئ فمن قبل رأيي ثم
قال : أرى أن لها صداق مثلها من نسائها لا وكس
ولا شطط وإن لها الميراث وعليها العدة فقال بعض
القوم : والذي يحلف به لقد قضيت فيها بقضاء رسول الله
ﷺ في بروع بنت واشق الأشجعية . قال : ففرح عبد الله
فرحة ما فرح مثلها منذ أسلم بموافقة رسول الله ﷺ
في شيء لم يسمعه منه .

(الحديث الثامن والأربعون) : وبه قال حدثنا
أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله
عنها قالت : خيرها رسول الله ﷺ فلم يعد ذلك طلاقاً .
(الحديث التاسع والأربعون) : وبه حدثنا أبو حنيفة
عن يحيى بن الحارث التميمي عن أبي ماجد الحنفي عن

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أتاه بابت أخ له نشوان قد ذهب عقله فأمر به عبد الله فحبس حتى إذا صبحا دعا بسوط ففقطع ثمرته ثم دق طرفه ثم دعا جلاداً فقال : اجلده وأوجع في جلدك ولا تبد ضبعيك . وأقبل عبد الله يعد حتى إذا كمل ثمانين جلدة خلى سبيله فقال الرجل يا أبا عبد الرحمن أما والله إنه لابن أخي ومالي من ولد غيره فقال عبد الله بنس العم والى اليتيم كنت ما أحسنت أدبه صغيراً ولا سترت عليه كبيراً ثم أنشأ عبد الله يحدثنا فقال : إن أول حد أقيم في الإسلام لسارق أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فلما أن قامت عليه البينة قال : انطلقوا به فاقطعوه . فلما انطلق به ليقطع نظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما أسفي^(١) فيه الرماد فقال له بعض جلسائه : يا رسول الله لكأن هذا اشتد عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومالي لا يشتد على أن تكونوا أعوان الشيطان على أخيك المسلم قالوا : فلو خليت سبيله يا رسول الله قال : أفلا كان هذا قبل أن تأتونني به فإن الإمام إذا انتهى إليه حد فليس ينبغي له أن يعطله حتى يقيمه ثم تلا هذه الآية ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ .

(١) سفي أسفي الريح الرماد بمعنى ذره وهنا على صيغة المجهول وبالياء في الأصل وعند ابن الأثير بالتضعيف (ز) .

(الحديث الخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه ماعز بن مالك فقال له إن الآخر قد زنى فأقم عليه الحد فردده ثم أتاه الثانية فقال له إن الآخر قد زنى فردده ثم أتى الثالثة فقال له إن الآخر قد زنى فردده ثم أتاه الرابعة فقال له إن الآخر قد زنى . فسأل النبي ﷺ قومه فقال : هل تتكرون من عقله شيئاً ؟ فقالوا : لا . فقال النبي ﷺ : انطلقوا به فارجموه . فانطلقوا به فرجم ساعة بالحجارة فأبطأ عليه القتل فهرب إلى مكان كثير الحجارة فقام فيه فأتاه المسلمون فرضخوه بالحجارة حتى قتلوه . فقال ﷺ فهلا خليت سبيله وتركتموه . ثم اختلف الناس فيه فقال قائل : هلك ماعز وأهلك نفسه . وقال قائل : نرجو أن يكون توبة فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : لقد تاب توبة لو تابها فئام من الناس قبلت منهم فلما سمع ذلك أصحابه طمعوا فيه وقالوا للنبي ﷺ : ما نصنع بجسده ؟ فقال : انطلقوا فاصنعوا به ما تصنعون بموتاكم من الغسل له والكفن والصلاة عليه والدفن له فانطلق أصحابه فصلوا عليه ودفنوه .

(الحديث الحادي والخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن أبي حجية^(١) عن أبي الأسود عن أبي

(١) كعلية ، وأبو حجية هو أجلح (ز) .

ذر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : إن أحسن ما غيرتم به الشعر الحناء والكتم .

(الحديث الثاني والخمسون) : وبه قال حدثنا

أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى صاحبهم بتقوى الله في خاصة نفسه وأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً ثم يقول لهم : اغزوا بسم الله وفي سبيل الله فاقتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم وإلا فأعلموهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين وليس لهم في الفبيء ولا في الغنينة نصيب فإن أبوا ذلك فادعوهم إلى أن يؤدوا الجزية فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم وإذا حاصرتم قرية أو مدينة فأرادوكم أن تنزلوهم على حكم الله ﷻ فلا تنزلوهم على حكم الله ﷻ فإنكم لا تدرون ما حكم الله فيهم ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم احكموا فيهم ما رأيتم وإن أرادوكم أن تعطوهم ذمة الله ﷻ وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله ولا ذمة رسوله ولكن أعطوهم ذمتكم وذمت آبائكم فإنكم أن تخفروا ذمتكم وذمت آبائكم أيسر .

(الحديث الثالث والخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن محمد بن الزبير عن عمران ابن الحصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا نذر في معصية الله ﷻ وكفارته كفارة يمين .

(الحديث الرابع والخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إني نهيتكم عن لحوم الأضاحي أن تمسكوا فوق ثلاثة أيام فأمسكوا ما بدا لكم وتزودوا فإنما نهيتكم ليوسع موسركم على فقيركم .

(الحديث الخامس والخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصيد يقتله الكلب قبل أن تدرك زكاته فأمره النبي ﷺ أن يأكله إن كان عالماً وسمى الله عليه (يعني معلماً) .

(الحديث السادس والخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نهى عن كل ذي ناب من السبع وعن كل ذي مخالب من الطير .

(الحديث السابع والخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن سعيد بن مسروق عن عباية (١) ابن رفاعة رضي الله عنه أن بعيراً من إبل الصدقة ند فطابوه فلما أعياهم أن يأخذوه رماه رجل بسهم فأصاب مقتله فقتله

(١) بفتح وموحدة مخففة وبعد الألف ياء (ز) .

فسألوا النبي ﷺ عن أكله فقال : إن لها أوابد كأوابد الوحش فإذا خشيتُم منها فاصنعوا كما صنعتم بهذا ثم كلوه .

(الحديث الثامن والخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية عام خيبر .

(الحديث التاسع والخمسون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن موسى بن طلحة عن ابن الحوتكية عن عمر ابن الخطاب ؓ أنه سئل عن لحم الأرنب . فقال : لولا أنني أتخوف أن أزيد شيئاً أو أنقص منه لحدثكم ولكني مرسل إلى بعض من شهد الحديث فأرسل إلى عمار بن ياسر رضي الله عنهما فأمره أن يحدث فقال عمار ؓ : أهدى أعرابي إلى النبي ﷺ أرنباً مشوية فأمره النبي ﷺ بأكلها .

(الحديث الستون) : وبه قال حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن عائشة رضي الله عنها أنه أهدى لها ضب فسألت النبي ﷺ فنهاها عن أكله فجاء سائل فأمرت له به فقال رسول الله ﷺ : أتطعمين مالا تأكلين ؟ .

انتهت الأحاديث الستون التي انتقاها العفيف علي ابن عبد المحسن الدواليبي من مسند الحسن بن زياد نقلت جميعها من خطه لتكون كنماذج لمرويات الإمام الحسن ابن زياد اللؤلؤي الذي يعد من المكثرين من رواية الحديث بين أصحاب أبي حنيفة ؓ وعن الجميع ونفعنا بعلومهم أجمعين .

أسانيد أهل العلم في مسند الحسن بن زياد (وسندنا إلى الدواليبي في روايته)

يقول الحافظ شمس الدين بن طولون في الفهرس الأوسط أخبرنا بهذا المسند النور محمد بن محمد الجمال بقراءتي عليه عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الحنفي سماعاً عن أبي العباس أحمد بن محمد العباسي عن أبي الحسن حيدرة بن محمد البغدادي عن أبي الفضائل صالح بن عبد الله بن الصباغ عن أبي المؤيد محمد ابن محمود العربي الخوارزمي بسنده في جامع المسانيد إلى أبي الحسن محمد بن إبراهيم البغوي المعروف بابن حبيش عن محمد بن شجاع الثلجي عن الحسن ابن زياد (ح) قال وأخبرنا أبو بكر محمد بن أبي بكر بن عمر بن زريق عن أبي بكر محمد بن عبد الله الدمشقي بن ناصر الدين وأبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر المصري وأم كمال كمالية بنت محمد المكي ثلاثتهم عن أبي هريرة بن الذهبي عن محمد^(١) بن عبد المحسن الدواليبي بالسند في الفصل السابق . (ح) وقال ابن زريق وأنبأنا به عالياً أبو الوفاء إبراهيم بن محمد

(١) مترجم له في الدرر الكامنة . توفي سنة ٧٢٨ هـ (ز) .

الحلبي سبط العجمي شارح البخاري عن الصلاح بن أبي عمر عن الفخر بن البخاري عن ابن الجوزي عن إسماعيل بن أحمد السمرقندي عن أبي القاسم عبد الله ابن الحسن الخلال عن عبد الرحمن بن حمة عن ابن حبيش بسنده . ويقول الحافظ محمد بن يوسف الصالحى مؤلف السيرة الشامية الكبرى في عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان : أنبأنا به شيخ القضاة عمر ابن الصيرفي عن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين عن أبي هريرة بن الذهبي عن زينب بنت الكمال عن عجيبة بنت محمد البقдарى عن مسعود بن الحسن الثقفي عن أبي الحسين بن المهدي بالله عن أبي الحسن عبد الرحمن ابن عمر بن أحمد بن حمة عن محمد بن إبراهيم ابن حبيش البغوي عن محمد بن شجاع عن الحسن ابن زياد عن أبي حنيفة (ح) وساق الصالحى سنده أيضاً عن شيخه الجلال السيوطي عن فاطمة بنت اليسيري عن أبي هريرة بن الذهبي عن محمد بن عبد المحسن الدواليبي بسنده في الفصل السابق .

وله أسانيد أخر في الكتاب . وقال المسند الشيخ أيوب الخلوتي في ثبته : أنبأنا به ابن الأحذب عن النجم الماتاني عن أبي البقاء بن زريق عن ابن ناصر الدين عن أبي هريرة بن الذهبي عن محمد بن عبد المحسن الدواليبي بالسند السابق وله سند آخر في الكتاب

ويقول أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي في
جامع المسانيد . وأما المسند الذي رواه الحسن
ابن زياد اللؤلؤي صاحب أبي حنيفة عن أبي حنيفة فقد
أخبرني به المشايخ الأربعة محيي الدين يوسف
ابن الجوزي بقراءتي عليه وإبراهيم بن محمود بن سالم
وأبو نصر الأعز بن أبي الفضائل ومحمد بن علي بن بقاء
وآخرون اذنا قالوا جميعاً أخبرنا أبو الفرج ابن الجوزي
عن أبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي عن أبي
القاسم عبد الله بن الحسن بن محمد الخلال عن أبي
الحسن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد عن ابن حبيش عن
ابن شجاع عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة عن الجميع
وقال محمد عابد السندي مسند القرن المنصرم في حصر
الشارد من أسانيد محمد عابد . أرويه عن يوسف
المزجاجي عن أحمد بن محمد الأهدل عن خاله يحيى بن
عمر الأهدل عن أبي بكر علي البطاح الأهدل عن عمه
يوسف بن محمد البطاح الأهدل عن الطاهر ابن
الحسين الأهدل عن الحافظ ابن الديبع عن الشمس
السخاوي الحافظ عن أبي عبد الله محمد بن أحمد التدمري
كتابة عن الصدر الميدومي عن النجيب عبد اللطيف عن
ابن الجوزي بسنده . ومن هذا الطريق أيضاً ساق المحدث
عبد القادر بن خليل في المطرب المغرب الجامع لأهل
المشرق والمغرب بأسانيده إلى السخاوي . وما حوى

هذا المسند عبارة عن الأحاديث التي رواها الحسن ابن زياد في كتابه (المجرد) عن أبي حنيفة . (راجع الشامل لأبي القاسم إسماعيل بن الحسين البيهقي وخزانة الأمل في مسائل كتاب الحسن بن زياد) . وقد سمع محمد بن الثلجي (المجرد) من مؤلفه الحسن ابن زياد وسمعه من ابن شجاع أبو الحسن محمد ابن إبراهيم بن حبيش البغوي وهو الذي أفرد أحاديث المجرد بالتدوين فنسب المسند إليه لقيامه بتدوينه ونسب أيضاً إلى الحسن بن زياد لاتصال السماع به كما نص على ذلك أئمة هذا الشأن .

قال شيخ محمد زاهد الكوثري : وأروي مسند الحسن ابن زياد رحمته الله إجازة عن شيخنا الحسن بن عبد الله القسطموني عن أحمد حازم الصغير عن محمد أسعد إمام زاده عن محمد هبة الله البعلبي عن صالح الجيني عن أبي المواهب ابن عبد الباقي الحنبلي عن أيوب بن أحمد الخلوتي بأسانيده في ثبته إلى ابن الدواليبي بسنده وبأسانيد ابن طولون في الفهرس الأوسط برواية الخلوتي عن إبراهيم بن الأحذب عن ابن طولون وأرويه أيضاً بسندي إلى صالح بن إبراهيم بن الجيني عن أبيه عن خير الدين الرملي عن محمد بن عمر الحانوتي عن محمد بن يوسف الصالحي الحافظ بأسانيده من طريق ابن الدواليبي وغيره في عقود الجمان (ح) وأرويه إجازة

أيضاً عن أحمد طاهر القونوي العلائي عن الوتري عن عبد الغني الدهلوي عن محمد عابد السندي بسنده في حصر الشارد (ح) وأرويه إجازة أيضاً عن محدث اليمن الأكبر الحسين بن علي العمري المعمر رحمه الله مكاتبة عن أحمد بن محمد السياغي عن الحسن بن أحمد الرباعي عن عبد الله ابن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني عن المحدث عبد القادر بن خليل كذك زاده بأسانيده في المطرب المغرب الجامع لأسانيد أهل المشرق والمغرب . (ح) وأرويه إجازة أيضاً عن محمد صالح الأمدي عن فالح الظاهري بسنده في حسن الوفا . وفي هذا القدر من سرد الأسانيد في مسند الإمام الحسن بن زياد عليه السلام كفاية في معرفة مبلغ اهتمام أهل العلم بأحاديثه في جميع الطبقات رغم تطاول ألسنة الناس على ذلك الفقيه العظيم كعادتهم في أبي حنيفة وأصحابه من غير حجة رضي الله عنهم وعن سائر الأئمة وأصحابهم أجمعين . وسامح من تكلم فيهم عن جهل بمنازلهم في العلم والإخلاص والخدمة للدين وعاقب من طعن فيهم عن خبث طوية . وفساد نية معاقبة الأشرار المفسدين .

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
والحمد لله رب العالمين .

* * *

كلام بعض أهل الجرح في الحسن بن زياد

سبق بيان ما قاله أهل العلم في الثناء على الحسن ابن زياد بالعلم والورع وسعة الرواية في الحديث والإمامة في الفقه واليقظة وعلو النفس وكرم الخلال ولين الجانب والسخاء والاعتصام بالسنة . وفيما رواه ابن أبي العوام سئل الحسن بن زياد عن زفر أكان زفر نظر في الكلام ؟ فقال : سبحان الله ما أسخفك تقول لأصحابنا أنهم نظروا في الكلام وهم بيوت العلم والفقه إنما يقال نظر في الكلام فيمن لا عقل له .

وهؤلاء كانوا أعلم بحدود الله ﷻ وبالله من أن يتكلموا في الكلام الذي تعني . وما كان يهمهم غير الفقه والاقتداء بمن تقدمهم .

وذكر الحسن بن زياد أيضاً عن زفر أنه سأله رجل فقال له : القرآن كلام الله . فقال له الرجل : أمخلوق هو ؟ فقال له زفر : لو شغلك فكر في مسألة أنا فيها أرجو أن ينفعني الله بعلمها لشغلك ذلك عن هذا الذي تفكرت فيه والذي فكرت فيه بلا شك يضرك . سلم الله ﷻ ما رضي به منك . ولا تكلف نفسك ما لا تكلف . وكان أبو يوسف أيضاً يقول : القرآن كلام الله . ولا يزيد على ذلك شيئاً . وكان أناس يعدون ذلك بدعة فظيعة بل كفراً

بل أن هذا وقوف عند ما وقف الكتاب والسنة لا اشتباه في قدم ما قام بالله ولا في حدوث ما قام بالخلق . والمؤسف في المسألة إسراع من لا تحقيق عنده في موضع الخلاف إلى الإكفار والتبديع قبل أن يعلم مراد القائل . ومثل ذلك التشنيع يرتد إلى قائله من غير شك . وفتنة القول بخلق القرآن أنتجت تناحراً بين الأمة مدى الدهور فيما لا يعرف أغلبهم وجوه الخلاف فيه فكانت مصيبة تراكبت ظلماتها على توالي العصور . وامتألت كتب الجرح المؤلفة من نقلة ذلك العصر بجروح لا طائل تحتها ولذلك قلت (أى قال الشيخ زاهد) فيما علقت على شروط الأئمة للحازمي . ومن أشرف على سير المسألة بعد محنة الإمام أحمد يرى مبلغ ما اعترض الرواة من التشدد في مسائل يكون الخلاف فيها لفظياً . وعلى تقدير عده حقيقياً يكون المغمز في جانبهم حتماً في نظر البرهان الصحيح . فليتهم لم يتدخلوا فيما لا يعنيه واشتغلوا بما يحسنونه من الرواية ولو فعلوا ذلك لما امتألت كتب الجرح بجروح لا طائل تحتها كقولهم فلان من الواقعة الملعونة أو من اللفظية الضالة أو كان ينفي الحد عن الله فنفيناه أو لا يستثنى في الإيمان فمرجئ ضال أو جهمي في غير مسألة الجبر وإنكار الخلود ونحوهما أو كان لا يقول إن الإيمان قول وعمل فتركناه أو ينسب إلى الفلسفة والزندقة لمجرد النظر في الكلام أو ينظر في الرأي ونحو ذلك

مما لبسطه موضع آخر . ومن أخطر العلوم علم الجرح والتعديل ، وفي كثير من الكتب المؤلفة في ذلك غلو وإسراف بالغ . ويظهر منشأ هذا الغلو مما ذكره ابن قتيبة في (الاختلاف في اللفظ ص ٦٢) ولا يخلو كتاب ألف بعد محنة الإمام أحمد في الرجال من البعد عن الصواب كما لا يخفي على أهل البصيرة الذين درسوا تلك الكتب بإمعان . قال الرامهرمزي في الفاصل بين الراوي والواعي : (وليس للراوي المجرد أن يعترض لما لا يكمل له فإن تركه ما لا يعنيه أولى به وأعذر له وكذلك كل ذي علم) فكان حرب بن إسماعيل السيرجاني (الكرمانى صاحب المسائل عن إسحاق وأحمد) قد اكتفى بالسماع وأغفل الاستبصار فعمل رسالة سماها السنة والجماعة تعجرف فيها . واعترض عليها بعض الكتبة من أبناء خراسان ممن يتعاطي الكلام ويذكر بالرياسة فيه والتقدم فصنف في ثلب رواة الحديث كتاباً يلقط فيه كلام يحيى بن معين وابن المديني ومن كتاب التدليس للكرابيسي وتاريخ ابن أبي خيثمة والبخاري ما شنع به على جماعة من شيوخ العلم خلط الغث بالسمين والموثوق بالظنين .

ولو كان حرب مؤيداً مع الرواية بالفهم لأمسك من عنانه ودرأ ما يخرج من لسانه . ولكنه ترك أولها فأمكن القارة من رماها . ونسأل الله أن ينفعنا بالعلم ولا يجعلنا

من حملة أسفاره والأشقياء به إنه واسع لطيف قريب
 مجيب . وقد ذكرت في التأنيب (أى ذكر الشيخ زاهد)
 (٤) عند ذكر أئمة الفقه وأتباعهم : وقد مضت طوائف
 الأمة على إجلال هؤلاء الأئمة مكتفين بالأخذ والرد في
 الاحتجاج على المسائل والموازنة بين أدلة كل طائفة ، كما
 تقضي به أمانة العلم ، إلى أن حدثت فتنة القول بخلق
 القرآن في عهد المأمون العباسي ، وكان بين رواية
 الحديث أناس لم يتقنوا النظر ولم يمارسوا استنباط الأحكام
 من الأدلة ، فإذا سئل أحدهم عن مسألة فقهية لا يجهلها
 صغار المتفقهين يجيب عنها بما يكون وصمة عار أبد
 الأبد . وكانت فلتات تصدر من شيوخهم في الله سبحانه
 وصفاته مما ينبذه الشرع والعقل في آن واحد ، فرأى
 المأمون امتحان المحدثين والرواة في مسألة كان يراها من
 أجلى المسائل ليوقف موقف التروي فيما يرون ويروون
 فأخذ يمتحنهم في مسألة القرآن يدعوهم إلى القول بخلق
 القرآن ويضطهدهم على ذلك ملوماً فيما اختاره من
 الوسيلة في اختبارهم ، غير موفق فيما توخاه ، واستمرت
 هذه الفتنة من عهد المأمون إلى عهد المتوكل العباسي ،
 ولقي الرواة صنوف الإرهاق طول هذه المدة ، فمنهم من
 أجاب مرغماً من غير أن يعقل المعنى ، ومنهم من تورع
 من الخوض فيما لم يخص فيه السلف ، وكان نزاع القوم
 بحسب الظاهر فيما بالأيدي ، ودعوى قدمه تكون مكابرة ،

وأما الكلام الذي قام بالله سبحانه ، وهو صفة من صفاته تعالى فلا شك في قدمه قدم باقي صفاته الذاتية الثبوتية ، وكم صرح الإمام بأن القرآن من علم الله وعلم الله قديم ، وبين أن القرآن باعتبار وجوده في علم الله سبحانه قديم ، ولكن دهماء الرواة كانوا بعيدين عن تعقل محل النزاع وتحريره ، وكان بين أهل الغوص على المعاني ونقلة الألفاظ جفاء متوارث ، حيث كانت النقلة متمسكين بحرفية ما يروونه ، غير معولين على أفهام الآخرين في النصوص ، يرمونهم بمنايذة السنة عند عدم موافقة أفهام هؤلاء لأفهامهم أنفسهم ، وفي هؤلاء المكثرين من الرواية بدون اهتمام بالتفقه والدراية يقول شعبة : كنت إذا رأيت رجلاً من أهل الحديث يجيء أفرح به . فصرت اليوم ليس شيء أبغض إلي أن أرى واحداً منهم . ويقول ابن عينية : أنتم سخنة عين لو أدركنا وإياكم عمر ابن الخطاب لأوجعنا ضرباً . ويقول الثوري : ليس طلب الحديث من عدد الموت ، ويقول أيضاً : لو كان هذا الحديث خيراً لنقص كما ينقص الخير . ويقول عمرو بن الحارث (شيخ الليث) : ما رأيت علماً أشرف وأهلاً أسخف من أهل الحديث إلى غير ذلك مما في جامع بيان العلم لابن عبد البر والمحدث الفاضل للرامهرمزي وغيرهما . ومما زاد في الشقاق بين الفريقين انتداب قضاة في تلك البرهة لامتحانهم في مسألة خلق

القرآن . وغالب هؤلاء القضاة كانوا يرون رأي أبي حنيفة وأصحابه في الفقه . ويميلون إلى المعتزلة في مسائل الامتحان . فلما رفعت المحنة في عهد المتوكل أخذ رد الفعل مجراه الطبيعي . من غير أن يفيد ما بدأه المأمون شيئاً مما كان يتوخاه ، سوى استفحال التعصب والتطرف بين الفريقين . وقد انقلب الاضطهاد في عهد المتوكل إلى عكس سابقه . وكان أهل الرواية يغلب عليهم قلة التبصر في المسائل . يندفعون في الوقعة كلما ضاقت حجتهم اندفاعاً لا يبرره دليل ولا شبه دليل . فسلوا سيف النقد على ممتهنيهم القضاة (بحق) وعلى أئمة هؤلاء القضاة في الفقه الذين لا ناقة لهم في الأمر ولا جمل (من غير حق) حتى ساووا بين القضاة وأئمتهم الأبرياء . ولسان حال أبي حنيفة وأصحابه يقول :

غيري جنى وأنا المعاقب عنكم فكأنني سبابة المتنم

وقد أطال عثمان بن سعيد الدارمي المجسم الوقعة فيه وفي بشر بن غياث ومحمد بن شجاع الثلجي في نقده ظاناً أن القضية تكسب بالبذاءة وينقلب بها ضلالة هدي . وهو المثبت لله الحد والمكان والثقل والمسافة ونحو ذلك مما ينزل أهل العلم مع هؤلاء إله العالمين منها . وهذا ذنب لا يغتفر عند الدارمي وأصحابه الحشوية فرموه وأصحابه عن وتر واحد . ودونوا فيه وأصحابه مثالب مختلفة بأسانيد مركبة أوحتها إليهم غضبتهم الظالمة .

فجعلوا رقابهم بأيدي أبي حنيفة وأصحابه في الآخرة .
يسامحونهم إذا شاعوا . ويقتصون منهم إذا أرادوا . كما
كانت أقفيتهم في الدنيا باعترافهم . ومسامحتهم هي
الجديرة بما عرف عن أبي حنيفة وأصحابه من سعة
الصدر وكرم الخلال نحو جهلة المعتدين وهم حينما طعنوا
فيه إنما طعنوا ظانين أنه على الخطأ وهم على الصواب .
ومن علم حالهم ربما يعذرهم في ذلك بخلاف أهل الفقه
من المخالفين . لأن اعتقاد الحنفية واعتقادهم واحد .
ومدارك الفقه عند الفريقين متقاربة . والكل متمسك
بالقياس في غير مورد النص . فإذا جازوا أحد هؤلاء في
النقد حد قرع الحجة بالحجة . واسترسل في اصطناع
مثالب . مسايير أهواه . فلا عذر له أصلاً . فلا يلقي
مثله غير مقامع توقفه عند حده . وقد أجاد ابن السبكي في
طبقاته الكبرى (١ - ١٨٧) بيان رد طعن المخالف في
المذهب فيمن ثبتت إمامته وأمانته لكن يضيق المقام عن
نقل ذلك ، فليراجعها من شاء فهناك تحقيق بديع لا يستغني
عنه باحث ، فالحسن بن زياد على إمامته في الفقه وأمانته
في العلم لم ينج كثير من تلامذته من ملابسة تلك الفتنة فلم
يخلص هو وتلامذته من طعون شنيعة منهم ظلماً
 وعدواناً . وممن جاز الحد في الطعن على الحسن ابن
 زياد أبو جعفر العقيلي حيث يقول في الضعفاء :
(الحسن بن زياد اللؤلؤي من أصحاب النعمان : حدثنا

محمد بن عثمان سمعت يحيى بن معين عن الحسن ابن زياد اللؤلؤي فقال : كان ضعيف الحديث . حدثني محمد بن عبد الحميد السمطي قال حدثنا أحمد بن محمد الحضرمي قال سألت يحيى بن معين عن الحسن بن زياد اللؤلؤي فقال : ليس بشيء . حدثنا الهيثم بن خلف الدوري قال حدثنا محمود بن غيلان قال لي يعلى : اتق اللؤلؤي . حدثنا أحمد بن علي الأبار قال حدثنا محمود بن غيلان قال قلت ليزيد بن هارون ما تقول في الحسن بن زياد اللؤلؤي ؟ قال : أو مسلم هو ؟ .

حدثني محمد بن أبي عتاب المؤدب حدثني أحمد ابن سنان القطان قال حدثني هيثم بن معاوية قال سمعت محمد بن إسحاق الأزرق يقول كنا عند شريك بالكوفة فجاء رجل خراساني رث الهيئة فقال يا أبا عبد الله قد فنيت نفقتي وليس عندي شيء وها هنا من يعرف ما أقول فكان شريكاً رق له فقال : من يعرفك . قال : الحسن ابن زياد اللؤلؤي وحماد بن أبي حنيفة ، قال : لقد عرفت شراً لقد عرفت شراً .

حدثني الفضل بن عبد الله الجوزجاني حدثنا قتيبة ابن سعيد بن رجاء قال : كنا عند شريك وهو يملي علينا إذا جاء الحسن بن زياد اللؤلؤي فقع في آخر المجلس وغطي رأسه فبصر به شريك فقال إنني أجد ريح الأنباط ثم رمي بصره نحوه قال فقام الحسن بن زياد فذهب .

حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا محمد بن رافع النيسابوري قال : كان الحسن بن زياد اللؤلؤي يرفع رأسه قبل الإمام ويسجد قبله قال وسمعتَه يقول : أليس قد جاء الحديث : من قطع سدره صوب الله رأسه في النار . رأيتم إن قطع نخلة ؟ قالوا : إنما جاء الحديث في السدره . قال : فمن قطع نخلة صوب الله رأسه في النار مرتين . حدثنا محمد بن عيسى حدثنا عباس قال سمعت يحيى يقول : الحسن بن زياد كذاب . حدثنا إدريس بن عبد الكريم المقرئ قال حدثنا إسحاق بن إسماعيل قال : كنا عند وكيع فقيل له : السنة مجدبة . فقال : كيف لا تجذب والحسن اللؤلؤي قاض وحماد بن أبي حنيفة . فمحمد بن عثمان في الخبر الأول هو ابن أبي شيبة الذي كذبه كثيرون ، وأحمد بن علي الأبار بالغ العداوة والتعصب ضد أبي حنيفة وأصحابه كما هو مشروح في تأنيب الخطيب ، والمتعصب المعادي غير مقبول الرواية ولا الشهادة فيما يمس تعصبه عند أهل العلم ، وهو حيث كان من الحشوية يعادي أهل التنزيه ، ولمحمود بن غيلان انحراف غريب عن المنزهة ، وشان الاختلاف في المذهب في باب الطعون مشروح في طبقات ابن السبكي على أن من يعتقد أن الوقوف على أن (القرآن كلام الله) من غير زيادة شيء لم يرد في الكتاب والسنة عليه كفر . لا يستغرب منه أن يتساءل عن

إسلام الحسن بن زياد على أن هذا القول لن يثبت عن يزيد بن هارون بذلك السند . ومن الغريب أنهم يطعنون طعناً مرأً في شريك ويحتجون بقوله المخالف للسنة . لأن الطعن في الأنساب وتعيير المرء بنسبه الذي اختاره الله له من خلال الجاهلية . وشريك ذلق اللسان مطعان وإن كان فقيهاً جليلاً . وفيما رواه الأبار عن محمد بن رافع . معه شاهد يكذبه ، وذلك أن (كان) يفيد الاستمرار .

ومن المستبعد أن يبقى محمد بن رافع خارج الصف والجماعة منعقدة حتى يشاهد سبق الحسن بن زياد على وجه الاستمرار . على أنك تعرف من هو هذا الأبار المأجور للطعن في المنزهة . وأما تكذيب يحيى بن معين وغيره له فلا يعدو أن يكون الحسن يهم في شيء أو أشياء . ومن الذي لا يهم أصلاً ؟ والواهم كاذب لإخباره بخلاف الواقع فيكون تكذيبه من قبيل تكذيب بعضهم لأبي حنيفة وغيره من أساطين العلم .

والجراح في هذا الصدد هو تعمد الكذب عند أهل الفن ولم يدل عليه فلا نزيد على أن يكون واهماً في بعض رواياته ولا نجترئ أن نقول أن مثل هذا الإمام يتعمد الكذب من غير دليل . وأما قطع السدرة فلا يدل على حكم قطع النخلة عند المتمسكين بحرفية النص وأما القول بالأولوية قياساً فله شأن عند أهل النظر . وسبق أن ذكرت خرافة إجداب السنة والجواب عنها بتكذيب ذلك من الخبر

نفسه فلا داعي إلى إعادة ذكر جواب عنها . وهذا العقيلي لإسرافه البالغ في تجريح حملة الآثار انبري الذهبي للذب عن طعن فيه هذا العقيلي وقال بعد سرد أسماء رجال في ترجمة ابن المديني في ميزان الاعتدال . (فمالك عقل يا عقيلي أتدرى فيمن تكلم كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات) . وزاد الخطيب على العقيلي في الولوغ في دم الحسن بن زياد والنهش في عرضه حتى قال الذهبي في تاريخه الكبير بعد أن ترجم للحسن بن زياد ترجمة واسعة : (قلت : قد ساق في ترجمته أبو بكر الخطيب أشياء لا ينبغي لي ذكرها) . هكذا يقول الذهبي وإن لم يربأ الخطيب بنفسه من الولوغ في دم مثله والنهش في عرضه مع ما له من حظ في النظر وسعة في الرواية بخلاف ابن عدي الذي لم يرزق حظاً مما يقوم به لسانه فضلاً عما يقوم به طرق تفكيره فمثله إذا سب وشتّم وطأع الشيطان في الإساءة إلى أهل النظر الذين بهم حفظ كيان الدين اعتقاداً وعملاً لا يستغرب لأنه لا يميز بين صحيح الاستنباط وفاسده ويعد ما هو عليه هو الدين الصحيح والاعتقاد الرجيح فيؤيد من يؤيده عن جهل . ويعادي من يعاديه عن خرق ونزق معتمداً على كل من هب ودب ، وتوغل في الكذب وأغرب ، بل مستنداً إلى مجروحين جرحهم هو نفسه أيضاً . وإن اعتدل بعض اعتدال بعد اتصاله بأبي جعفر الطحاوي وألف مسنداً في

أحاديث أبي حنيفة لكن الجهل المتأصل في نفسه لا يقبل العلم الصحيح بل شخصه في حاجة إلى بناء جديد . فدعه يهذي إلى أن يلقي جزاء خرقه في يوم الوعيد . وفي كتاب النقد للدارمي عثمان بن سعيد المجسم ذكر الحسن ابن زياد في صف بشر بن غياث ومحمد بن شجاع حينما ينزل نزلات جامحة على أبي حنيفة وأصحابه حيث لا يعجبه تنزيلهم كما هو شأن الحشوية ظاناً أن بداءة اللسان تجعله على حق في اعتقاده التجسيم وكتابه نفسه يكشف عما ينطوي عليه من الزيف والضلال المبين . فكفى الله المؤمنين القتال .

وبعد أن طبع تاريخ الخطيب ولسان ابن حجر اللذان حوياً كل إساءة في الحسن بن زياد لا يجوز إغفال ما ذكره . ونحن في زمن غير زمن الذهبي فأقول . قال الخطيب في تاريخه (٧ - ٣١٥) : (أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمن بن عبد الله بن مهران أخبرنا عبد المؤمن ابن خلف النسفي قال : سألت أبا علي صالح بن محمد عن الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي فقال : ليس بشيء لا هو محمود عند أصحابنا ولا عندهم . فقلت بأي شيء تتهمه^(١) قال بداء سوء .

(١) هكذا في اللسان ، وفي تاريخ الخطيب المطبوع (يتهم) . (ز) .

وليس هو في الحديث بشيء) . فالخطيب على ما تعلم من بالغ التعصب المؤدي إلى رد خبره . وأبو العلاء الواسطي شيخه يقول عنه الخطيب نفسه (٣ - ٩٦) : رأيت له أشياء سماعه فيها مفسود إما محكوك بالسكين أو مصلح بالقلم . فيكون غير مؤتمن عنده (إلا إذا كان خبره في الطعن في أصحاب أبي حنيفة) وعبد المؤمن ليس ممن يصدق فيه لأنه كان ظاهرياً طويل اللسان على أهل القياس وصالح جزرة على سعة علمه في الحديث كان بذيء اللسان مداعباً أسوأ مداعبة . وهو القائل لمن رأى سواته قد انكشفت : لا ترمد عينك . بدل أن يخجل ويستتر . وقد قال مرة لمن سألته عن الثوري : كذاب . فكتب السائل قوله فخاطبه أحد جلسائه مستكراً صنيعة (لا يحل لك هذا فالرجل يأخذه على الحقيقة ويحكيه عنك) . فقال : إما أعجبك من يسأل مثلي عن مثل سفيان الثوري يفكر فيه أنه يحكي أو لا يحكي كما في تاريخ الخطيب (٩ - ٣٢٦ ، ٣٢٧) فيفيد جوابه هذا أنه ممن لا يقبل قوله في الأئمة لضياح كلامه بين الهزل والجد والعجب من هؤلاء الأتقياء الأطهار استهانتهم بأمر القذف الشنيع هكذا فيما لا يتصور قيام الحجة فيه مع علمهم بحكم الله في القذف . ومن يكون كما يصوره هذا الخبر كيف تكون له تلك الوجاهة والمكانة ؟ وكيف يلتفت حوله الحفاظ والفقهاء لأخذ العلم عنه ؟ وكيف يثني

عليه أهل العلم بالورع والزهد والتقوى والعلم الغزير ؟ كما سبق وكمل وسيأتي في رواية مثل الذهبي حيث يقول في تاريخه الكبير . قال ابن كاس النخعي حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي : ما رأيت أحسن خلقاً من الحسن بن زياد ولا أقرب مأخذاً منه ولا أسهل جانباً مع توفر فقهه وعلمه وزهده وورعه . ثم قال الخطيب : (أخبرنا الحسن بن محمد الخلال حدثنا محمد بن العباس حدثنا أبو بكر بن أبي داود حدثني أبي عن الحسن بن علي الحلواني قال رأيت الحسن ابن زياد اللؤلؤي قبل غلاماً وهو ساجد) . محمد ابن عباس هو الخزاز كان يحدث بما ليس عليه سماعه في رواية الخطيب نفسه فكيف يأتى الخطيب مثله ؟! وأبو بكر بن أبي داود كذبه من الحفاظ أبوه وابن صاعد وابن جرير والأخرم وابن الجارود ومحمد بن يحيى ابن منده وهو مختلق أرجوفة التسلق المعروفة راجع التأنيب (ص ٦٨) والحلواني لم يكن أحمد يرضاه وساء كلام كثير من حملة العلم فيه كما في (٧ - ٣٣٥) من تاريخ الخطيب وإن قبلت روايته فيما بعد وفي الخبر نفسه ما يشهد بتلفيق الخبر لأنه لا يتصور في أفجر البلاد وأفسق العصور أن يحدث مثل هذا من أي فاجر من غير أن يأتيه الموت من كل جانب ثم الرائي كيف يبلغ في دمه بإلقاء الخبر إلى أسنة الإخباريين من غير أن يرفع الأمر إلى أصحاب الشأن ليلقي جزاء عمله

ومن اجتراً على الافتراء على علي كرم الله وجهه بشهادة
حفاظ عليه بذلك التسلق المختلق يسهل عليه الافتراء على
الإمام الحسن ابن زياد وهذا ظاهر كل الظهور ،
والخطيب الذي نسب إليه في الشام ما نسب من مخالطة
المُرد كيف لا يتحاشى عن حكاية مثل هذه الفرية
المكشوفة بمثل هذا السند . ومن علم مبلغ توغل الآجري
في معتقد الحشوية لا يصدق في المنزهة ، وهو يروي
عن أبي داود تكذيب الحسن بن زياد في كلام الخطيب
تعويلاً على رواية عن أبي ثور ، فسل ابن أبي حاتم . هل
كان أبو ثور بحيث يتحاكم إليه في الحديث ؟ وسل غيره
ما إذا كان المنقل من مذهب إلى مذهب بجلبه
وضوضاء أحدثت تهجراً يؤتمن على ما يقوله في
أصحابه القدماء ؟ على أن تكذيبه المروي عن أناس عند
الخطيب في أسانيده رجال متكلم فيهم من أمثال ابن
درستويه الدراهمي والحسن بن أبي بكر وابن كامل
والساجي ومحمد ابن سعد العوفي ومحمد بن أبي شيبه
فلا يعرج على الروايات عنهم فيمن ثبتت إمامته وأمانته
على أنه ليس في شيء منها ما يدل على تعمد الكذب ،
فغاية ما في الأمر أنها تحمل على أنه كان عنده بعض
وهم في بعض الأحاديث ، وهذا غير قادح عند أهل الفن ،
بل نحمل التكذيب المطلق على التوهيم مطلقاً ما لم يذكر
ما يدل على التعمد فنعد مطلقه جرحاً غير مفسر ، ومن

عجيب صنع ابن عدي تدليله على كذب الحسن على ابن جريج بما أخبره عبد الرزاق بن محمد بن حمزة الجرجاني أن إبراهيم بن عبد الله النيسابوري أن خلف ابن أيوب البلخي منذ سبعين سنة^(١) أن الحسن بن زياد اللؤلؤي أن ابن جريج عن موسى بن وردان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (من مات مريضاً مات شهيداً) قال إبراهيم فلقيت الحسن بن زياد فأول شيء سألته عن هذا الحديث فحدثني ابن جريج بمثل ما كان أخبرنا به خلف عن أيوب . وهذا الحديث يرويه ابن جريج عن إبراهيم عن أبي يحيى عن موسى بن وردان ويقول إبراهيم بن أبي عطاء هكذا يسميه فإذا روي عن ابن جريج عن موسى هذا الحديث يكون قد دلّسه . وهذا كل ما في كتاب ابن عدي في التدليل على كذب الحسن على ابن جريج ، ولا دليل في ذلك على ما تخيله لأن غاية ما في الأمر أن ابن جريج عن موسى في روايته له ، (والعننة لا تفيد الاتصال عندهم) وابن جريج معروف بالتدليس في كتب أهل الشأن فيكون دلّس في روايته للحسن وذكر الوساطة في رواية أخرى له ، ولو لم يكن ابن جريج ممن يدلس

(١) هكذا في الأصل المخطوط لكن أراها محرفة عن (سنين) بدل

سبعين سنة والله أعلم (ز) .

كما ذكره الذهبي في الميزان لساغ القول بأن الحسن يمكن أن يكون هو الذي أسقط الواسطة في السند لكن ابن أبي يحيى يكثر عنه الشافعي ويوثقه وإن كان الجمهور على تضعيفه والذي يدل عليه هذا الحديث أن الحسن بن زياد كان كهو قبل سنين في حفظ الرواية وإبراهيم بن عبد الله السعدي النيسابوري معمر عاش نحو تسعين سنة لكنه لم يعاصر الحسن المتوفي سنة ٢٠٤ هـ بسبعين سنة بل توفي سنة ٢٦٧ هـ فيتعين أن الصواب (سنين) بدل (سبعين) والله أعلم . والحسن بن زياد أيضاً معمر ، يناهز عمره تسعين سنة أو يزيد عند وفاته في المشهور وإن لم أجد في كتب التاريخ تحديد مولده والله سبحانه أعلم وأما قول النضر بن شميل للفتح بن عمرو الكشي بمناسبة حمله للكتب التي كتبها عن الحسن بن زياد إلى مرو : يا كشي لقد جلبت إلى بلدك شراً كثيراً فمن قبيل غسله لكتب أبي حنيفة جموداً وتعصباً ، وما فعله المأمون من تأنيب النضر على ذلك معروف فلا داعي على ذكره هنا والله في خلقه شؤون . وأما ما ذكره ابن عدي في كامله . سمعت أبا جعفر بمصر يقول سمعت فهد بن سليمان يقول سمعت البويطي يقول سمعت الشافعي يقول قال لي الفضل بن الربيع : أنا اشتحي مناظرتك واللؤلؤي قال فقلت له : ليس هناك . قال فقال : أنا أشتحي ذلك فقلت له : متي شئت . قال فأرسل لي

فحضرني رجل ممن كان يقول بقولهم ثم رجع إلى قولي فاستتبعته وأرسل إلى اللؤلؤي فجاء فأثانا بطعام فأكلنا ولم يأكل اللؤلؤي فلما غسلنا أيدينا قال له الرجل الذي كان معي ما تقول : في رجل قذف محصنة في الصلاة ؟ قال : بطلت صلاته قال : فما حال الطهارة ؟ قال : بحالها . قال فقال له : فما تقول فيمن ضحك في الصلاة ؟ قال : بطلت صلاته وطهارته قال فقال له : قذف المحصنات أيسر من الضحك في الصلاة ؟! قال . فأخذ اللؤلؤي نعله وقام قال فقلت للفضل : قد قلت لك إنه ليس هناك ومن أحاط خبراً بهذا الخبر علم أن دعوة الحسن بن زياد على سنه وإمامته إلى بيت الفضل بن الربيع لحمله على مناظرة تلميذ له انحاز إلى الشافعي بتدبير مبيت مما يستاء من مثله حقاً ولذا لم يشاركهم في الأكل ولما رأى أن حديث المتحدث معه في مسألة الضحك في الصلاة كان بالقياس فيما ورد النص بخلافه استهجن ذلك وقام وذهب فلو كان المتحدث معه هو الشافعي نفسه لرأى منه ما يعجبه من قوة الحجة والقائل بقبول المرسل باشتراط اعتضاده أو من غير اشتراط ذلك لا يمكنه رد مرسل أبي العالية كما يقول ابن حزم لأن حديثه في الوضوء من الضحك في الصلاة لم يعيبوه إلا بالإرسال ، وأبو العالية قد أدرك الصحابة رضي الله عنهم ، وقد اعتضد مرسله بمراسيل إبراهيم

النخعي والحسن والزهري فلا يمكن رد هذا المرسل بعد اعتضاده بتعدد المخارج ، فمحاولة ذلك التلميذ رد النص بالقياس جهل يأباه شيخه أن يستمر على الحديث معه على تعنته ومجاهرته بمخالفة النص مع علمه بالمراسيل الواردة في ذلك عندما كان يلزمه في العلم قبل انتقاله إلى مجلس الشافعي . كما في مسنده فلا يستفيد ابن عدي شيئاً من ذكر هذه الحكاية ، وفهد بن سليمان شيخ الطحاوي من الثقات الأثبات ، وقد جمع عبد الحي اللكنوي الآثار الواردة في حكم القهقهة في الصلاة في جزء استوفاهما فيه وتكلم فيها بما يشفي غلة الباحث عن هذه المسألة . ومن أقدر ما لطخ به ابن عدي كتابه ما حكاه عن ابن حماد (وهو متهم عنده) عن إبراهيم ابن الأصبع (وهو مجهول غير موثق) عن أبي الحسن أحمد بن سليمان الرهاوي (وكان صغيراً عند وفاة الحسن بن زياد) (كتبت عن الحسن ابن زياد كتبه وكنت لزمته فرأيت يوماً في الصلاة و غلام أمرد إلى جانبه في الصف فلما سجد مد يده إلى خد الغلام فقرصه وهو ساجد ففارقته وجعلت على نفسي أن لا أحدث عنه أبداً) ثم قال ابن عدي وأخبرني بعض أصحابنا عن أبي علي الحافظ البلخي عن الحسين ابن محمد الحريري قال : (رأيت الحسن بن زياد يلعب بذكر صبي) . انظر إلى ما سجله هذا الجلف باسم الجرح

ففيه ما ينادي أنه ليس عنده من العقل ما يفهم به أن هذا البهت معه ما يكذبه ويفضح الباهت الأثيم . والحاكي المجرم اللئيم . فأى فاسق في أفسق البلاد وأفسق العصور يجترئ على مثل هذا في الجامع والجماعة صفوف من غير أن يأتيه الموت من كل جانب وأين كان هذا المتخلف عن الجماعة حتى شاهد ما جري في موضع السجدة هو وحده دون الجماعة ؟ وكيف لم يرفع هذا المشاهد لما جرى تحت الصفوف المتراسة أمر هذا الفاجر إلى صاحب الشأن في الحضور ! بدل أن يلغ في دمه وعرضه بعد وفاته ويعرضه للولوغ في عرضه هكذا مدي الدهور أم كيف سكنت المعتدى عليه على هذا الاعتداء ؟ ومن رأى هرمأ متهدماً يقع منه هذا ؟ كل ذلك يدل على عقل هذا الحقود الكنود ودينه . والحسن بن زياد رحمته الله كان توفي سنة ٢٠٤ هـ وهو في سن الهرم والتهدم يناهز عمره التسعين أو يزيد . وقد ذكر البرهان الزرنوجي تلميذ صاحب الهداية في تعليم المتعلم أن الحسن بن زياد استمر على تعلم العلم أربعين سنة أخرى فيكون ابتداءه في تحصيل العلم في حدود سنة ١٢٤ هـ وهو ابن ثمان فيما أرى كما سيأتي الكلام على ذلك في آخر الترجمة فانتظره .

فلا تقل سنه عند وفاته من نحو التسعين . والرهاوي توفي سنة ٢٦١ هـ فيكون في سن الصغر عندما أدرك

الإمام الحسن بن زياد فهل يتصور عاقل من هرم متهدم في أواخر العقد التاسع أن يقترف مثل هذا الفجور ؟ فتلك أمور تكفي في تحطيم هذا البهت على رأس الباهت الأثيم ولو لم ننظر إلى السند فكيف والسند كما سبق . والحاصل أن من نظر إلى هذه الأسطورة من أي ناحية من نواحي النظر تبين له أنها مختلفة قطعاً وعلم مبلغ سقوط هؤلاء في النيل من أئمتنا الأبرياء . وأما ادعاء لعبه بذكر رضيع حكاية عن مجهول فجهل فظيع فكأن هذا المتحامل لم يبلغه حديث تقبيل الرسول ﷺ لزبيبة الحسن أو الحسين عند البيهقي وغيره على أن وجود مجهول في السند يجعل الخبر مردوداً في أول خطوة وأما ما حكاه ابن حجر في اللسان عن محمد بن حميد الرازي : ما رأيت أسوأ صلاة منه . فهو رواية ابن عدي أيضاً عن أحمد بن حفص السعدي عن محمد بن حميد الرازي . فأحمد بن حفص ممرور مخلط صاحب مناكير . وقد قال ابن عدي نفسه عنه : حدث بأحاديث منكرة لم يتابع عليها . فلا يصدق مثله في إمام من أئمة المسلمين العباد المتجهدين . ومحمد ابن حميد كذبه غير واحد ، ولم يثن عليه إلا من لم يخبره وهذا أيضاً من الدليل على مبلغ مجازفة الخصوم في محاولة وصم أئمتنا . على أن بعض الفقهاء يرى الاشتغال بالفقه والتفقيه أفضل من إطالة الركعات حتى حكي العجلي أن ابن مهدي كان يسيء الصلاة فنصحه من هو دونه

ولا يكون هذا من مثله بإخلال في أركان الصلاة بل بعدم الإطالة بقدر ما يرضاه المتعبدون والله أعلم . وتجد أغلب من ألف في الرجال كأسراب طير يتابع بعضهم بعضاً من غير تمحيص الرواية . فلا داعي إلى إيراد كل ما ذكر في كتبهم . وأكتفي بختم البحث بما ذكره الذهبي في تاريخه الكبير في ترجمة الإمام الحسن بن زياد بحروفه مع تحيزه إلى الحشوية وانحرافه عن أصحاب أبي حنيفة ولم أرد تقطيع كلامه وإن كان فيه بعض تكرار لما سبق ، وها هي ترجمته عنده بحروفه : (الحسن بن زياد الفقيه أبو علي مولى الأنصار صاحب أبي حنيفة أخذ عنه محمد ابن شجاع الثلجي وشعيب بن أيوب الصريفي . وهو كوفي نزل بغداد قال محمد بن شجاع سمعته يقول وسأله رجل : أكان زفر قياساً ؟ فقال : ما قولك قياساً ؟ هذا كلام الجاهل . كان عالماً . فقال الرجل : أكان زفر نظر في الكلام ؟ فقال : ما أسخفك تقول لأصحابنا نظروا في الكلام وهم بيوت الفقه والعلم . إنما يقال نظر في الكلام فيمن لا عقل له ، وهؤلاء كانوا أعلم بالله وبحدوده من أن يتكلموا في الكلام الذي تعني . ما كان همهم غير الفقه قال محمد بن شجاع الثلجي سمعت الحسن بن أبي مالك يقول كان الحسن بن زياد يقول إذا جاء إلى أبي يوسف أهملت أبو يوسف نفسه من كثرة سؤالاته . قال ابن كاس النخعي حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي قال : ما رأيت

أحسن خلقاً من الحسن بن زياد . ولا أقرب مأخذاً منه ولا أسهل جانباً مع توفر فقهه وعلمه وزهده وورعه وكان يكسو مماليكه كسوة نفسه . وقال : سمعت محمد بن عبيد الهمذاني يقول سمعت يحيى بن آدم يقول : ما رأيت أفقه من الحسن بن زياد . وقال ابن كاس انا محمد بن أحمد ابن الحسن بن زياد عن أبيه أن الحسن بن زياد استفتي في مسألة واخطأ فيها فلما ذهب السائل ظهر له الحق فاكثرى منادياً فنادي أن الحسن بن زياد استفتي فأخطأ في كذا فمن كان أفتاه الحسن في شيء فليرجع إليه فما زال حتى وجد صاحب الفتوى فأعلمه بالصواب . قال زكريا الساجي : يقال اللؤلؤي كان على القضاء وكان حافظاً لقولهم يعني أصحاب الرأي فكان إذا جلس ليحكم ذهب عنه التوفيق حتى يسأل أصحابه عن الحكم فإذا قام عاد إليه حفظه . قال نفطويه : توفي حفص بن غياث سنة ١٩٤ هـ فولي مكانه الحسن بن زياد اللؤلؤي . قال أحمد ابن يونس لما ولي الحسن بن زياد لم يوفق وكان حافظاً لقول أصحابه فبعث إليه البكائي : إنك لم توفق للقضاء وأرجو أن يكون هذا لخيرة أرادها الله بك ، فاستعفى فاستعفى واستراح . وقال محمد بن سماعة سمعت الحسن بن زياد يقول كتبت عن ابن جريج اثني عشر ألف حديث كلها مما يحتاج إليها الفقهاء ، وقال أحمد بن عبد الحميد الحارثي : ما رأيت أحسن خلقاً

من الحسن بن زياد ولا أقرب مأخذاً ولا أسهل جانباً وكان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه .
 ضعفه ابن المديني ، ولكن له كتب في المذهب ،
 وقال محمد ابن رافع كان الحسن اللؤلؤي يرفع رأسه قبل الإمام ويسجد قبله ، قلت (أي الذهبي) :
 قد ساق في ترجمة هذا أبو بكر الخطيب أشياء لا ينبغي لي ذكرها . وتوفي سنة أربع ومائتين فقد روى القراءة عن عيسى^(١) بن عمر ، وزكريا ابن سياه . وروى عنه الحروف الوليد^(٢) بن حماد اللؤلؤي انتهى ما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣) في المجلد الحادي عشر منه ولم يتحاش الخطيب ولا ابن حجر من ذكر أمور ظاهرة الاختلاق في هذا الإمام العظيم في حين أن الذهبي أجتنب ذلك ، وفي ذلك عبر ، وقد سبق ذكر جميعها مع تفنيد المفند منها وقد ساق ابن حجر في اللسان جميع ما قيل فيه عن كل من هب ودب بهشاشة وبشاشة من غير تمحيص ولا تورع ثم قال : (قلت مع ذلك كله أخرج له أبو عوانة في مستخرجه والحاكم في مستدركه) وقال مسلمة بن قاسم كان ثقة رحمه الله تعالى . بل ذكره ابن حبان في الثقات

(١) أبو عمر الهمداني مقرئ الكوفة بعد حمزة من أصحاب عاصم

وأبي عمرو (ز) .

(٢) روي الحروف عنه ابنه إبراهيم (ز) .

كما في كشف الأستار عن رجال معاني الآثار ، فأخراج أبي عوانة لحديثه في مستخرجه على صحيح مسلم في حكم التوثيق كما إن إخراج الحاكم في مستدركه على الصحيحين لحديثه أيضاً توثيق له من الحاكم وقول مسلمة بن قاسم القرطبي توثيق صريح ، وزد على ذلك ذكره في ثقات ابن حبان في رواية صاحب كشف الأستار ، وقال البدر العيني في المغاني : كان الحسن بن زياد محباً للسنة جداً مشهوراً بالدين المتين كثير الفقه والحديث عفيف النفس فمن هذه صفاته كيف يرمى (بما ذكروه) . وفي طبقات علي القاري عد الحسن بن زياد ممن جدد لهذه الأمة دينها كما في مختصر غريب أحاديث الكتب الستة لابن الأثير . وقال الصيمري : أخبرنا عبد الله بن محمد الأسدي قال أخبرنا أبو بكر الدامغاني الفقيه قال أخبرنا الطحاوي : أن الحسن بن زياد والحسن بن أبي مالك توفيا جميعاً سنة أربع ومائتين رضى الله عنهما وعن جميع أئمة الدين .

ولم أر تعيين مولده فيما اطلعت عليه من الكتب إلا أن برهان الإسلام الزرنوجي (تلميذ صاحب الهداية) ذكر في تعليم المتعلم أنه دام على تحصيل العلم أربعين سنة واستمر على تعليم العلم والإفتاء أربعين سنة أخرى فمجموع هاتين المدينتين ثمانون سنة وكان ابتداءه في التعلم في سن تمكنه من ذلك نحو ثماني سنوات على أقل تقدير

فيكون مولده سنة ١١٦ هـ تقريباً لا تحديداً ، والذي حملني على القول بذلك هو ما وقع في تعليم المتعلم للزرنوجي المذكور تحت عنوان (فصل في وقت التحصيل) : (قيل وقت التعلم من المهد إلى اللحد ، دخل الحسن بن زياد في التفقه وهو ابن ثمان ولم يبت على الفراش أربعين سنة فأفتى بعد ذلك أربعين سنة ثم استمر على الإفتاء والتعليم أربعين سنة أخرى . وقد وقع في متن بعض شروحه لبعض علماء الأتراك (وهو ابن ثمانين) بدل (وهو ابن ثمان) حتى جعل عمره يبلغ مائة وستين سنة ، وهذا غلط بحث وتحريف صرف من بعض النساخ المساخ في نظري ، لمخالفة ذلك للمعتاد والسياق . وفي خط الرقعة المعروف عند الأتراك ربما تلتبس ثمانية بثمانين . وأما ما حكاه الحاكم في عمر صالح بن كيسان فلا يستند إلى أصل وثيق كما ذكره أهل العلم ، فلا داعي لقول القائل : (وبعد سبعين ابن زياد طلب) مع تشديد الياء للنظم ولا لإصلاحه بتحويل المصراع إلى : (وبعد سبعين ابن كيسان طلب) بل حقهما جميعاً أن يشطباً لابتنائهما على أوهام متراكبة ، على أن النظم كان يصح لو قدم ابن زياد وقيل : (وابن زياد بعد سبعين طلب) والله أعلم .

انتهت ترجمة الحسن بن زياد رحمته الله وعن سائر أئمة الاجتهاد ونفعنا بعلومهم أجمعين .



(٢) محمد بن شجاع الثلجي

أصله ونشأته ومنزلته في العلم

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجي البغدادي . وهو منحدر النسب من ثلج بن عمرو بن مالك كما ذكره البدر العيني في البناية ، فيكون قضاعيا . ومن يقول عنه ابن الثلجي يريد به انتقاصه بأن أباه كان بائع ثلج فنسب إليه ، ومنهم من يزيد في الطنبور نعمة أخرى فيقول عنه ابن الثلاث لحط منزلته بأن والده كان ثلاثاً ، فماذا عليه ؟ لو صح أن أباه كان ثلاثاً بعد أن نبغ هو وصار إماماً رغم حساده ، ونسبته إلى بلخ تصحيف بحث ، وإن ذكره القرشي على الاحتمال .

ولد رحمه الله في بغداد في ٢٣ من رمضان من سنة ١٨١ هـ ونشأ بها وأقبل على العلم إقبالاً عظيماً إلى أن أصبح إماماً قوي الحجة في العلوم واسع الأفق في الفقه والحديث وانتشر صيته في الآفاق ، ولم تنحصر شهرته بالعراق ، وغاية ما يعاب به أنه لم يكن يعامل العامة وحشوية زمنه بالسياسة مترفعاً عن المداينة مفضلاً الصراحة في كل شيء فطالت السنة كثير من مخالفه بأنه يمالئ المعتزلة ويخالف السلف ، ولم يكن له أي مخالفة للسلف الصالح ، وإنما كانت مخالفته لنابذة عصره الذين

لا يميزون بين السنة المسلوكة ، والبدعة المهتوكة ، ولا بين الحق والباطل ممن حرمهم الله العلم والفهم والعقل الوازع عن التوغل في إثارة الفتن كما لا يخفى على من درس تاريخ عهده بإمعان ، تخرج في الفقه والحديث على الحسن بن زياد وأخذ عن الحسن بن أبي مالك ، وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، وعبد الله بن داود الخريبي ، والمعلّى بن منصور ، وحيان صاحب أبي حنيفة ، وأبي عاصم النبيل ، وأبي أسامة ، وأبي معشر ، وأبي نصر التمار ، وموسى بن سليمان الجوزجاني ، وإبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، وإسحاق ابن سليمان الرازي ، وإسماعيل ابن عليّة ، ووكيّع ، والواقدي ، وبشر بن غياث ، ويحيى بن آدم ، وأبي محمد اليزيدي ، وعبيد الله بن موسى ، ومحمد بن عبيد الطنافسي ، وإسماعيل بن الفضل ، وأبي علي الرازي ، ويحيى بن أيوب البلخي ، وغيرهم من أئمة الفقه والحديث . وممن تفقه عليه وحدث عنه ابنه أحمد ابن محمد بن شجاع . والقاسم بن غسان القاضي ، وأبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي الحافظ . وأحمد ابن أبي عمران شيخ الطحاوي ، ويعقوب بن شيبة السدوسي الحافظ ، وحفيده محمد بن أحمد بن يعقوب . وهو آخر من روى عنه . وأحمد بن الحسن ابن صالح البغدادي ، وأحمد بن القاسم البرتي ، وعبد الوهاب بن

عيسى بن جنبة^(١) ، وعبد الله بن أحمد بن ثابت
البزاري وأحمد بن موسى القمي ، وعباد بن صهيب ،
وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الهروي ، وزكريا بن
يحيى النيسابوري ، وعبد الملك بن حمدان ، وأبو جعفر
محمد بن اليمان ، وأبو الحسن محمد بن إبراهيم
بن حبيش البغوي ، مدون مسند الإمام الحسن ابن زياد
تجريداً لأحاديث كتابه (المجرد) بحق سماعه من
ابن شجاع بروايته عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة كما
فعل ابن مطر النيسابوري في مسند الشافعي بحق سماعه
لكتاب الأم من أبي العباس الأصم عن الربيع المرادي عن
الشافعي رضي الله عنهم أجمعين وحيث إن محمد بن
شجاع مكثر للغاية من الحديث كما سبق يحتاج استيفاء
ذكر شيوخه إلى تأليف خاص وتفرغ خاص . وكذلك ذكر
أصحابه وتلاميذه لما نشر الله سبحانه له في بلاد كثيرة
شرقاً وغرباً من علومه ومؤلفاته بواسطة هؤلاء الأصحاب
والتلاميذ الذين انتشروا في الآفاق . وكان ذلك لبالغ
إخلاصه في خدمة الفقه والحديث رغم كثرة خصومه من
الحشوية .

* * *

(١) بجيم ونون ساكنة (ز) .

ثناء أهل العلم على محمد بن شجاع بالعلم والورع والتعب

قال أبو عبد الله الصيمري : ومن أصحاب الحسن ابن زياد محمد بن شجاع الثلجي وهو المقدم في الفقه والحديث وقراءة القرآن مع ورع وعبادة .

قال الذهبي في سير النبلاء : أحد الأعلام سمع من ابن عليّة ووكيع ، وأبي أسامة وطبقتهم وأخذ الحروف عن يحيى بن آدم والفقه عن الحسن بن زياد وكان من بحور العلم وكان صاحب تعب وتهجد وتلاوة وله كتاب المناسك في نيف وستين جزءاً وعاش خمساً وثمانين سنة ومات سنة ٢٦٦ هـ . وقال محمد بن إسحاق النديم في الفهرست : أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجي مبرز على نظرائه من أهل زمانه ، وكان فقيهاً ورعاً ثباتاً على آرائه . وهو الذي فتق فقه أبي حنيفة واحتج له وأظهر علله وقواه بالحديث وحلاه في الصدور . وكان من الواقفة إلا أنه يرى رأى أهل العدل والتوحيد ، ثم قال : قرأت بخط ابن الحجازي أنه قال محمد بن شجاع قال لي إسحاق ابن إبراهيم المصعبي (وكان لي صديقاً) دعاني أمير المؤمنين فقال لي اختر لي من الفقهاء رجلاً قد كتب الحديث وتفقه به مع الرأي وليكن مديد القامة جميل الخلقة

خرساني الأصل من نشأة دولتنا ليحامي على ملكنا حتى أقلده القضاء . قال . فقلت : لا أعرف رجلاً هذه صفته غير محمد بن شجاع وأنا أفوضه في ذلك . قال : فافعل . فإذا أجابك فصر به إليّ فقال : فدونك يا أبا عبد الله ! فقلت : أيها الأمير لست إلى ذلك بمحتاج وإنما يصلح القضاء لأجل ثلاثة^(١) لمن يكتسب مالاً أو جاهاً أو ذكراً . فأما أنا فمالي وافر ، وأنا غني ، وإن الأمير ليوجه إلى بالمال لأفرقه . ولو احتجت إلى شيء منه لأخذته . وأما الذكر فقد سبق لي عند من يقصدنا من أهل العلم والفقهاء ما فيه كفاية . وقال الموفق المكي في المناقب (١ - ٩٥) : وذكر محمد بن شجاع في تصانيفه نيفاً وسبعين ألف حديث عن النبي ﷺ مما فيها نظيرها من الصحابة . وهذا توسع بالغ في الحديث والأثر مرفوع وموقوف فمثله يكون خبيراً بوجوه اختلاف الروايات في الحديث وآراء الصحابة فيكون عالي المنزلة في الاجتهاد جداً (لو لم يكن كافراً وكذاباً في نظر بعض النقلة) وقال الحافظ عبد القادر القرشي : محمد بن شجاع الثلجي من أصحاب الحسن بن زياد وكان فقيه أهل العراق في وقته والمقدم في الفقه والحديث وقراءة القرآن مع ورع وعبادة

(١) يعني إذا لم يكن العلم متعيناً للقضاء لإقامة العدل وكان في عصره

من يولي القضاء بكثرة (ز) .

مات فجأة في سنة ست وستين ومائتين ساجداً في صلاة العصر . روى عن يحيى بن أكنم ووكيع حكاة الصيمري قال الذهبي : تفقه على الحسن بن زياد . وآخر من حدث عنه محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة . وأرى ما في نسخة القرشي من ذكر يحي بن أكنم تحريفاً من يحيى ابن آدم وهو المذكور في الكتب في عداد شيوخه وإن كان من الممكن أخذه عنه لمعاصرته له . وقال البدر العيني في البناية^(١) له تصانيف كثيرة فإن قلت أهل الحديث يشنعون عليه تشنيعاً بليغاً ونقل ابن الجوزي عن ابن عدي أنه كان يضع الحديث في التشبيه وينسبها إلى أهل الحديث قلت من جملة تصانيفه كتاب الرد على المشبه فكيف يصح عنه ذلك وكان ديناً صالحاً عابداً فقيه أهل الرأي في وقته . وقال على القاري في طبقات الحنفية هو فقيه أهل العراق في وقته والمقدم في الفقه والحديث وقراءة القرآن مع ورع وعبادة . قال الحاكم روى محمد بن أحمد بن موسى القمي عن أبيه عنه كتاب المناسك له في نيف وستين جزءاً . كباراً دقاقاً . وله تصحيح الآثار (وهو كتاب كبير ،

(١) وهذه من أحسن شروح الهداية في استيفاء أدلة الأحكام ، وطبعت البناية شرح الهداية في الهند قديماً لكنها في غاية السقم : وبما في دار الكتب المصرية ومكتبة رواق الأتراك بالأزهر الشريف من الأجزاء تتم نسخة من الشرح المذكور بخط الشارح لعل الله ﷻ يوفق بعض أصحاب المطابع لإعادة طبع هذا الشرح المفيد من تلك النسخة ليعم نفعه . (ز) .

وكتاب النوادر ، وكتاب المضاربة ، وكتاب الرد على المشبهة) وله ميل إلى المعتزلة . وقال أبو الحسن علي ابن صالح : حكى لي جدي أنه سمع الثلجي يقول ادفنوني في هذا البيت فإنه لم يبق فيه طابق إلا ختمت فيه القرآن . وسأتحدث إن شاء الله تعالى عما كان النقلة ينقمون عليه مع الرد عليهم بقرع الحجة بالحجة لا بالتهور والإقذاع كما هو ديدنهم منذ ثوران فتنة القول بخلق القرآن . قال ابن كامل : كان فقيه العراق في وقته . ولفظ الحاكم في معرفة علوم الحديث (٢٢٤) : وأما أبو عبد الله محمد ابن شجاع الثلجي فإنه كثير الحديث كثير التصنيف رأيت عند أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى القمي خازن السلطان عن أبيه عن محمد بن شجاع كتاب المناسك في نيف وستين جزءاً كباراً دقاً . وهذا العالم الجليل المعروف بين الحفاظ بكثرة الحديث وكثرة التصنيف وبالغ العبادة والتلاوة المختوم له بخير يسعى كثير من حشوية الرواة في الإساءة إلى سمعته كذباً وزوراً فمن لا يصدق في مثل أبي حنيفة وأصحابه باعتباره ظنيماً متهماً كيف يصدق في باقي علماء المذهب ؟ فانخداع بعض من ألف في الرجال من علمائنا المتأخرين بما سطره أهل العدوان من الحشوية وتصديقهم في فريق دون فريق مما يؤسف له وذلك من جهلهم بالدخائل في كلمات هؤلاء النقلة وعدم دراستهم لكتب الرجال كما يجب جرياً مع التقليد

الأعمى والله ولي الهداية . وفي تكملة الرد على نونية ابن القيم (٩٦) بعض بسط في ذلك .

* * *

رأيه في مسائل الاعتقاد التي كان يجرى النقاش فيها بين أهل عصره

وقد ذكرت (أي ذكر الشيخ زاهد) في تأنيب الخطيب (٥٥) بسند محمد بن شجاع عن أبي حنيفة في قصة طويلة عن سؤال بعض أصحاب أبي حنيفة عن مسألة خلق القرآن وسكوته عن الجواب لغيبوبة شيخهم وحكايتهم له ما جرى عند قدومه إلى أن قال : فما كان جوابكم فيها ؟ قلنا لم نتكلم فيها بشيء وخشينا أن نتكلم بشيء تنكره . فسري عنه وأسفر وجهه . وقال جزاكم الله خيراً جزاكم الله خيراً احفظوا وصيتي ولا تتكلموا فيها بكلمة واحدة أبداً . ولا تسألوا عنها أحداً أبداً . انتهوا إلى أنه كلام الله ﷻ بلا زيادة حرف واحد ما أحسب هذه المسألة تنتهي حتى توقع أهل الإسلام في أمر لا يقومون له ولا يقعدون . أعاذنا الله وإياكم من الشيطان الرجيم . وقد نقلنا (أي نقل الشيخ زاهد) أيضاً بسند محمد ابن شجاع عن الحسن بن زياد والحسن بن أبي مالك وغيرهما عن أبي يوسف وزفر وغيرهما مثل هذا الرأي

في حسن التقاضي ولمحات النظر والتأنيب وغيرها . وبهذا الرأي الذي كان يدين به محمد بن شجاع يعدة النقلة من الواقفة بل يكفرونه فسبحان قاسم العقول . والقول بأن القرآن كلام الله والسكوت عما زاد على ذلك ما لم يرد في الكتاب والسنة هو الصواب القاطع للنزاع المهدئ للعقول الثائرة كما هو ظاهر . وحاشى أن يريد هو ولا أحد من أصحاب أبي حنيفة أن القرآن باعتبار وجوده العلمي في علم الله حادث أو أن يريد أحد منهم قدم ما بأيدي البشر من القرآن في الأذهان والألسنة والصحف ليكونوا كفاراً في الحالتين لأن القول بحديث القديم أو بقديم الحادث من أشنع أنواع الكفر عند من يعقل ما يقال له وأما القول بما قال به محمد بن شجاع نقلاً عن أئمتنا من الوقوف حيث وقف الكتاب والسنة من غير زيادة شيء على قولنا أن (القرآن كلام الله) كما توارثه أئمتنا فهو محض الصواب ولب الحكمة فلو كان أهل الشأن أخذوا بذلك لفترت الفتنة ورجع الجميع إلى رشدهم . وانصرفوا إلى ما فيه خيرهم . لكن وقع ما كان يتوقعه الإمام الأعظم ووصل الأمر إلى حد إكفار من يقول بهذا الصواب . وتخليد ذلك في الكتب مدى الأحقاب . وهذا هو الذي بسببه كان يرمي محمد بن شجاع بالميل إلى الاعتزال وحاشاه من ذلك بل كان من أبعد خلق الله عن الانحياز لإحدى هاتين الطائفتين المعتزلة والحشوية بل كان حنيفاً

لا يميل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بل كان يقسو بعض
قسوة على أهل المغالاة فجازوه جزاء سنمار . والله
سبحانه يكافئه على صدق جهاده في سبيل الدين وقمع
المبتدعين مكافأة المتقين . وموعدنا في الكلام عن الباعث
إلى تقولات النقلة فيه المبحث الآنني فسندافع عنه فيما هو
مظلوم فيه إن شاء الله تعالى بما نرجو المثوبة فيه .

* * *

التحدث عما رماه به بعض الجارحين من خصوم المنزهين

لابن عدي انحراف عجيب عن أبي حنيفة وأصحابه فلا تجد في كتابه (الكامل) كلمة واحدة في الثناء على واحد منهم بل كلامه كله تجريح وتشنيع فيهم مع أنهم قادة الأمة في الفقه والعقيدة من أقدم العصور إلى اليوم وإلى ما شاء الله بل لا يستطيع أحد ممن يعي ما يقول أو يقال له توهين مداركهم في الكتاب والسنة في الفروع والأصول والعقيدة بل باقي أرباب المذاهب الفقهية انتهجوا مناهجهم الفقهية باستدراك طفيف يناقشهم المتأخرون في ذلك وسبقهم بالفضل تحت اعتراف الجميع إلا من طمس الله بصيرته فأصبح يتخبط في مكابرة الحقائق ولذا قال ابن الأثير في جامع الأصول ما معناه لولا أن الله سبحانه جعل سرّاً في أبي حنيفة لما اتخذ شطر الأمة المحمدية قدوة في دين الله يتعبدون الله بمذهبه من أقدم العصور إلى اليوم . ثم يشكو مر الشكوى من بعض أهل مذهبه حيث يتحاملون على هذا الإمام الفذ . وأطال الكلام في ذلك . والواقع أن أقل ما يقال في أتباعه أنهم شطر الأمة المحمدية . والصحيح أنهم ثلثا الأمة كما حقق علي القاري في شرح المشكاة والتدليل على ذلك سهل ميسور . فيكون

التطاول والتحامل عليه استهانة وعداء وتحاملاً على معظم الأمة المحمدية ووزر ذلك لا شك عظيم . ونحن على استعداد للنظر في كل نقد يوجه إلى واحد من أئمتنا وقبول ما يبرهن عليه منها بكل إنصاف لكن ما نراه يملأ كتابه كله بمطالب شنيعة في جميع أئمتنا من غير ذكر أي منقبة لواحد منهم باسم القيام بتجريح المجروحين من نقلة العلم نكشف عن اتجاهه الستار ونبدي ما ينطوي عليه من سوء النية وفساد الطوية باعتبار أن عمله ذلك إهانة للأمة وامتهان للملة حيث عدّهم اتخذوا شرار خلق الله قدوة في دين الله فنناقش ابن عدي المعتدي على كلماته الخارجة عن الاتزان ومن عيوب ابن عدي في الكامل أخذه الشيوخ بعيوب الرواة عنهم . وهذا إخسار في الميزان كما يشير إلى ذلك الذهبي والسخاوي وغيرهما ، وابن عدي يقول في (الكامل) في ترجمة الإمام أبي عبد الله محمد ابن شجاع الثلجي رحمه الله : محمد بن شجاع أبو عبد الله الثلجي من أصحاب الرأي متعصب سمعت موسى ابن القاسم بن موسى بن الحسن بن موسى بن الأشيب يقول : كان ابن الثلجي يقول من كان الشافعي ؟ إنما كان يصحب بريرا المغني . فلم يزل يقول هذا إلى أن حضرته الوفاة فقال : رحم الله أبا عبد الله (يعني الشافعي) وذكر علمه وقال : قد رجعت عما كنت أقول فيه . قال الشيخ (يعني ابن عدي) وكان يضع أحاديث في التشبيه

ينسبها إلى أصحاب الحديث ليلتلبهم به ، روى عن حبان بن هلال (وحبان ثقة) عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت ثم خلق نفسه منها ، مع أحاديث كثيرة وضعها من هذا النحو فلا نحب أن نشغل به لأنه ليس من أهل الرواية حملة التعصب على أن وضع أحاديث ليلتلب أهل الأثر . و (أحاديث) في الموضوعين (أحاديث) في عبارته حيث لم يكن يرعى قواعد النحو لأنه كان عاميا لحانا ليس عنده من العربية ما يقوم به لسانه فضلا عن أن يكون حائزاً لعلم يقوم به فكره ، وقد فسد بمعاشرة ابن أبي داود المعروف ، وكل ما فيه اطلاعه على قماطر النقلة الرحل لأجل كتابة الأحاديث من الشيوخ فنستأنس برواياته مع النظر في أسانيده ولا نجاريه في جهالاته تعبيراً وتفكيراً هذا ما نذكره عرضاً أما قوله : من أصحاب الرأي فنعم لأنه كان صاحب غوص وفهم في الكتاب والسنة ، ولا فقه حيث لا رأي وفقهاء الصحابة والتابعين كلهم من أهل الرأي ، والآثار في ذلك مسرودة في جامع بيان العلم والفقهاء والمتفقه ، ولذا ذكر ابن قتيبة في المعارف مالك بن أنس في عداد أهل الرأي ولا أدري لماذا لم يذكر الإمام ابن عدي في أحد فريقَي الرأي والحديث وأما رميهِ بالتعصب فلم يدل عليه ، وإنما التعصب هو التحزب لرأي أو طائفة بدون إقامة حجة وهو

الذي مضى عليه ابن عدي في كامله ، فيكون هذا محاولة منه أن يرميه بدائه ، وطريق ابن شجاع في الآراء والمسائل وإقامة الحجة عليها كما تجد مصداق ذلك في كتب المذهب وأما قوله : من كان الشافعي ؟ ومؤاخذته على مصاحبته لمغن فمن قبيل ما رواه محمد بن إسحاق النديم في الفهرست عن أبي القاسم الحجازي عن محمد بن شجاع قال : (كان يمر بنا في زى المغنين على حمار وعليه رداء محشو وشعره مجعد) فلا أستسيغ أن يتكلم أحد في إمام من أئمة المسلمين بمثل هذه اللهجة ولا شك أن هذا الزى الذي كان يتزيا به الإمام هو زى أهل الحجاز وكان ابن شجاع يرى ورود بعض المغنين من الحجاز بهذا الزى فظن أنه زى المغنين . وأهل الحجاز كانوا يتسامحون في الغناء ولم يكن عندهم جمود أهل العراق في ذلك ، بل بعض شيوخهم الذين يقدمون العراق كانوا يستصحبون من يغنيهم كما فعل إبراهيم بن سعد الزهري وعبد الملك بن الماجشون ثم كيف يعد صحبة مثل إبراهيم الموصلي المغني مثلاً وسيلة تعبير في العراق مع إتقانه كثيراً من العلوم والغناء نفسه فن يختلف حكمه باختلاف الغايات ولعل لهجة ابن شجاع أتت من جهة أن الشافعي سبق أن آذى شيخه الحسن بن زياد بقوله : ليس هناك . وبتدبير أن يكلمه بعض تلاميذه الذين انفضوا من حوله وانحازوا إليه كما سبق لكن

بالنظر إلى أن محمد ابن شجاع رجع عن ذلك وأقر بعلم الشافعي نقول عفي الله عما سلف ونسكت . على أن موسى بن الأشيب توفي سنة ٣٣٩ هـ ولم يدرك زمن بن شجاع ، وأبو القاسم الحجازي غير موثق . وأما قوله : (وكان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث) فداهية دهياء وأشنع افتراء على مثل ذلك الإمام الجليل المشتهر بإمامته وأمانته ، وسعة روايته ودقة درايته وكثرة عبادته وحسن خاتمته حتى لم يجترئ أمثال ابن أبي حاتم والعقيلي وابن حبان على أن يتكلموا فيه ببنت شفة . وابن عدي تراه يرميه هذا الرمي الفظيع بدون أى دليل . وليس ابن شجاع مصدر ذبوع تلك الرواية الفاضحة بين النقلة بل كانت متناقلة بين جهلة الرواة في عصره وقبله وابن قتيبة يشكو مر الشكوى من حملهم تلك الفاضحة ويقول في (الاختلاف في اللفظ) (ص ٤٥) : (ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالإفراط في التمثيل فقالوا بالتشبيه المحض وبالأقطار والحدود وحملوا الألفاظ الجائية في الحديث على ظاهرها وقالوا بالكيفية فيها وحملوا من مستشنع الحديث عرق الخيل وحديث عرفات وأشباه هذا الموضوع ما رأوا أن الإقرار به من السنة وفي إنكاره الريبة . وكلا الفريقين غالط) وقال ابن عساكر في تبیین كذب المفتری (ص ٣٦٩) ردّاً على

أبي علي الأهوازي : (إنه كان سالمياً مشبهاً مجسماً حشويّاً . ثم ذكر كتاب الأهوازي المسمي (البيان في شرح عقود أهل الإيمان) المحتوي على الأحاديث الموضوعة كحديث ركوب الجمل وعرق الخيل فهل كان محمد بن شجاع هو الذي أذاع بين النقلة تلك الفاضحة في عصر ابن قتيبة المعاصر له ؟ أم هو الذي حمل أناس على تدوينها في كتبهم وكتاب أبي علي الأهوازي كان محفوظاً في ظاهرة دمشق . فهنا دعوى أنه يضع أحاديث في التشبيه . ولم ينقل ابن عدي ذلك من أحد ولا رفع سنده في شيء منها إلى ابن شجاع بل جازف وقال إنه روى حديث الفرس عن حبان بن هلال ، ولو انفرد مثله بالرواية عن حبان لما ساغ رميّه بوضع تلك الفاضحة مع وجود مثل حماد بن سلمة المختلط الذي شهر بإدخال ربيبه عبد الكريم بن أبي العوجاء وربيبه الآخر زيد المعروف بابن حماد بن سلمة أحاديث موضوعة في كتبه مع صحة روايته فيما قبل وإمامته في العربية . وفي كتب الموضوعات المبسوطة نماذج كثيرة مما أدخل عليه راجع كتاب ابن الجوزي وغيره . وشيخه أبو المهزم بكسر الزاي المشددة يزيد بن سفيان يقول عنه شعبة : (لو يعطى درهماً لوضع حديثاً وكان أبو المهزم مطروحاً في مسجد ثابت لو أعطاه إنسان فاساً لحدثه سبعين حديثاً) . فخلعة الوضع لا تخلع

على مثل ابن شجاع مع وجود حماد بن سلمة وأبي المهزم في السند . ومن قلة الدين رمي مثل محمد ابن شجاع بوضع أحاديث من غير ذكر دليل واحد على وضعه لحديث واحد بسند يوصل إليه . وغاية ما في الأمر أنه وقع في تاريخ الحاكم : (أنبأنا إسماعيل بن محمد الشعراني أخبرت عن محمد بن شجاع الثلجي أخبرني حبان ابن هلال عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعاً : أن الله خلق الخيل فأجراها فغرقَت ثم خلق نفسه منها) . ولا إمكان لاتهام مثل ابن شجاع في دينه وورعه بوضع مثل هذا الخبر الساقط بقول إسماعيل بن محمد الشعراني : (أخبرت عنه) لأن هذا نص على انقطاع الخبر فمن هذا الذي أخبره عنه أسمعته منه سماعاً أم سمعه من آخر يقول أيضاً أخبرت عنه ؟ وما مبلغ هذا وذاك وذلك ؟ وبين الشعراني وأبي شجاع من المدة ما يجعل الساقط من بينهما نحو ثلاثة أشخاص فمن هؤلاء المجاهيل ؟ وما هي أحوالهم ؟ ولم يرم محمد بن شجاع أصلاً خبر معين في كتاب من الكتب فيما نعلم مع طول أمد بحثنا عن ذلك . ولم يرمه أحمد مع ما بينهما من الجفاء بالكذب أصلاً بل روي عنه أنه قال عنه : مبتدع صاحب هوى . كما هو رأي في الواقعة . فليترك الله ابن عدي أن ينسب هذه الفرية إلى فقيه مثله في علمه ودينه ووجاهته وخاتمته

وإن كان شجى في حلق المشبهة وجذعاً في أعين
الحشوية بما ألفه في الرد على المجسمة كما يعلم اتجاه
رده واتجاه لخصومه من كتاب النقض^(١) لعثمان بن سعيد

(١) وتناول عثمان بن سعيد السجى الدارمي (وهو غير الدارمي
صاحب السنن) على محمد بن شجاع الثلجي ليس بضائره بعد أن كشف
الستار عن اتجاهه بتأليف كتاب النقض على المبرسي المطبوع قبل سنين .
وهو يجوز فيه استقرار معبوده على ظهر بعوضة فضلاً عن العرش العظيم
والتجويز في باب المعتقد . في حكم التجيز على القول المعتمد . ويثبت لله
الحد والمكان والنهاية . ويجعل العرش مكاناً يستقر عليه . ويعتقد أنه
فوق العرش في هواء الآخرة . وأنه بائن من خلقه بفرجة ومسافة .
وأنه يتقل على العرش وحملته . ويئط العرش من ثقله عليه . وأن الحي
القيوم يتحرك عليه إذا شاء . وينزل ويرتفع إذا شاء ... ويقوم ويجلس
إذا شاء . لأن أماره ما بين الحي والميت التحرك . كل حي متحرك
لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة . وأن من على رأس الجبل أو
المئذنة أقرب إلى الله ممن على الأرض . وأنه تعالى ليقعد على الكرسي فما
يفضل منه إلا قدر أربع أصابع . وأن الحركة والنزول والمشي والهرولة
والاستواء على العرش وإلى السماء قديم . إلى غير ذلك من لوازم الجسمية
البيينة تراه يثبتها فيه الله رب العالمين . على غرابة كلامه في قدم
الحركة والمشي والاستواء على العرش ونحوها ، مما يدل على أنه
كان لا يعي ما يقول ، وأنه هو المأفون حقاً دون غريمه ووقع
طابع النقض في خزي مبين بتحريفه كلمة (مأفون) إلى كلمة شنيعة
جداً ومثل هذا المجسم المكشوف الأمر لا يوثق بكلامه فيما يعزوه
إلى أهل التنزيه . وقد علم الناس بعد طبع كتابه المذكور معتقده
ومعتقدهم . واتجاهه واتجاههم . فإن وجدته أصاب في الرد على
معارضه مرة تجده ينزلق في دحض مزلة مرارا . وهكذا أسقط =

الدارمي المجسم . وقد أقام النكير عليهم فيه لروايتهم

= نفسه من ديوان العلماء بنفسه بخوضه فيما لا قبل له به بعد أن كان له اشتغال طيب بالحديث . حتى أن كتابه فيما لا معارض له في الحديث من أنفع الكتب . وكان لا يخوض في أحاديث الصفات . بل كان يمرها على اللسان كما ورد من غير خوض في المعنى . ولا إقامة لفظ لم يرد له من المعصوم مقام لفظ ورد . متمسكاً بالتنزيه المطلق المنصوص عليه في الكتاب الحكيم . كما هو مذهب السلف ثم ضل بمخالطة الكرامية السجزيين وإن قام ضد محمد بن كرام لكن قيامه ضده كان في مسألة الإيمان لا في مسألة الصفات بل هو ربما يكون أضل سبيلاً منهم في مسألة الصفات نسأل الله السلامة . وبهذا النظر الأعوج ، والبطر الأهوج ، والعقل الواله ، والفهم القاتن يحاول في كتابه المذكور الرد على أبي حنيفة وأصحابه ولا سيما الحسن بن زياد ساعياً جهده في تشويه سمعتهم فجنت براقش على نفسها . وأين هذا التائه من تلك البحوث؟! ومن جملة ما يريد أن يرد على أبي حنيفة قوله في رواية عمر بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه عن جده : (إن أهل الجنة يرون ربهم كما يشاء أن يروه) مع أن في ذلك إثبات الرؤية وقطع السنة المشبهة عن التورط في لوازم الجسمية من المحاذاة ونحوها . وقد تحدثت (أي تحدث الشيخ زاهد) كثيراً عن شطحات هذا المسكين في كثير من الكتب وفي مقالات خاصة بتوسع فلا داعي إعادة ذلك . ومثله لا يصدق فيما يعزوه إلى أهل التنزيه . وإن صح بعض ما عزاه إليهم فلا نتردد لحظة في رد المردود منه . وتأويل بعضهم لبعض الأخبار الموضوعة مما لا داعي إليه عند من اعترف بوضعها ولا وجاهة في افتراض صحتها والاسترسال في تأويلها كما فعل ابن فورك وغيره . على أن طبع كتاب النقض للدارمي رفع الغشاوة عن أعين كثير من الناس وبدأوا ينظرون إلى هؤلاء الذين تطاول عليهم هذا الشيخ المجسم نظر تربيث وعلموا من هم صفوة الصفوة من خيار السلف (ز) .

أمثال هذه السخافات . وقال إن الزنادقة يدسون تلك الأباطيل في كتب الرواة ، فيروونها بسلامة باطن فحذرهم من مسايرتهم وهو الواقع . والدارمي يستبعد كل الاستبعاد اقتراب هؤلاء من الرواة فضلاً عن تمكنهم من الدس في كتبهم وابن عدي هذا يعكس الأمر ويجعل الداس في كتبهم هو ابن شجاع حيث يقول في الكامل في ترجمة حماد ابن سلمة بعد أن قال حدثنا ابن حماد ثنا أبو عبد الله محمد بن شجاع بن الثلجي أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث حتى خرج خرجته إلى عبادى فجاء وهو يرويها فلا أحسب إلا شيطانا خرج إليه في البحر فألقاها إليه قال أبو عبد الله فسمعت عباد بن صهيب يقول : إن حماد بن سلمة كان لا يحفظ فكانوا يقولون إنها دس في كتبه وقد قيل إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه فكان يدس في كتبه هذه الأحاديث : (وأبو عبد الله الثلجي كذاب وكان يضع الحديث ويدسه في كتب أصحاب الحديث أحاديث كفريات فهذه الأحاديث من تدسيه) . وهذا نص كلام ابن عدي في ترجمة حماد بن سلمة ، وهذا من غريب التعدي من ابن عدي مرة يقول : يضع الحديث وينسبه إلى أهل الحديث ومرة يقول : يضع الحديث ويدسه في كتبهم ، فكيف يعقل هذا ولم يكن ابن شجاع خادماً ولا ربيباً عند راو من الرواة خاصة

الحشوية منهم حتى يتصور أن يدس بين كتب أحدهم شيئاً . فكأن هذا الجارح العامي اللاحن لم يكن يعرف مبلغ سعة علم ابن شجاع وتصونه وديانته ووقاره ووجاهته حتى تكلم فيه بكلام معه ما يبطله . فكفى الله المؤمنين القتال ، فيا ترى هل يبقى الراوى مقبول الرواية بعد أن دس في كتبه شيئاً وتلقن ذلك ورواه فإذا لم يبرهن هذا الجارح الطالح على كتب من دس ابن شجاع ؟ وماذا دس ؟ وكيف دس ؟ لا ينجيه من هذه الوقعة الفاجرة المفضوحة إذا وقعت الواقعة كونه يرويها مثلاً من عامي مثله . كأسراب طير يطير بعضها خلف بعض فلعائن الله على من اجترأ على مثل هذا الافتراء على الأئمة الأبرياء . ففي تبیین كذب المفترى لابن عساكر (ص ٣٦٩) والاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (ص ٤٥) وتكملة الرد على نونية ابن القيم (ص ٩٧) من الإيضاح ما لا يدع أدنى شبهة في هذا الموضوع لمن أنصف وتدبر ، وحماد بن سلمة كان كثير الزواج تزوج ما يقرب مائة من النساء وهذا مما جعله شديد الاختلاط ، وقد ذكر ابن عدي نفسه في ترجمته حديثه عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ ﴿ فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا ﴾ قال أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل قال فقال حماد لثابت تحدث بمثل هذا قال فضرب بيده في صدره وقال :

يقوله أنس ويقول رسول الله ﷺ وأكتمه أنا ؟ وقد أساء الضياء إلى نفسه بإخراج هذه الخرافة إلى مختارته ، وحديثه عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن محمداً رأى ربه في صورة شاب أمرد من دونه ستر من لؤلؤ ، قدميه (هكذا) أو قال رجليه في خضرة (١) ونحو ذلك نسأل الله السلامة . وأما قول الخطيب رواية عن محمد ابن أحمد الأدمي عن محمد بن علي بن أبي داود عن زكريا الساجي : (كان محمد بن شجاع الثلجي كذاباً احتال في إبطال الحديث عن رسول الله ﷺ ورده نصرة لأبي حنيفة ورأيه) فالأدمي لم يكن صدوقاً وكان يسمع لنفسه في كتب لم يسمعها كما نص على ذلك الخطيب نفسه ، والساجي يحاول بقوله هذا أن يرمي ابن شجاع بدائه نفسه كما يظهر من كتابيه في الاختلاف والعلل ، قال أبو الحسن ابن القطان في الساجي : (مختلف فيه في الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون) . والذهبي لم يعلم جرحاً فيه أصلاً لكن علم الجرح فيه من علم بل قتله أبو بكر الرازي في أحكام القرآن (١ - ١١٣) وأقبره بكشفه الستار عن اتجاهه وإليك بعض ما يقوله : (فإن احتج محتج بما ذكره زكريا بن يحيى الساجي عن

(١) ولا يصح هذا أصلاً لا في اليقظة ولا في المنام راجع الأسماء

والصفات وتكملة الرد على النونية (ز) .

بندار وإبراهيم بن محمد التيمي قالاً حدثنا يحيى بن سعيد قال حدثنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد أن النبي ﷺ سئل عن الجنين يخرج ميتاً فقال : إن شئتم فكلوه فإن زكاته زكاة أمه . قيل له : قد روى هذا الحديث جماعة من الثقات عن يحيى بن سعيد ولم يذكروا فيه : إنه خرج ميتاً . ورواه جماعة عن مجالد منهم هشيم وأبو أسامة وعيسى بن يونس ولم يذكروا فيه : أنه خرج ميتاً . وإنما قالوا سئل النبي ﷺ عن الجنين يكون في بطن الجزور أو البقرة أو الشاة فقال : كلوه فإن زكاته زكاة أمه . ورواه أيضاً ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ . وكذلك قال كل من يروي ذلك عن النبي ﷺ ممن قدمنا ذكرهم ولم يذكر واحد منهم أنه خرج ميتاً ولم تجيء هذه اللفظة إلا في رواية الساجي ، ويشبه أن تكون هذه الزيادة من عنده فإنه غير مأمون . وقد كشف أبو بكر الرازي هكذا الستار عن وجه الساجي ببيانه النير ، فتبين بذلك أن الساجي حينما قال عن ابن شجاع : (إنه كذاب احتال في إبطال الحديث ورده نصرة لإمامه) إنما حاول رمي محمد بن شجاع بدائه نفسه من غير أي دليل ، فيسقط الساجي هكذا من مقام التعويل وإن تلطّف أبو بكر الرازي في التعبير جاعلاً الحجة هي التي تنطق ، هكذا تكون تسوية الحديث على موافقة المذهب نسأل الله السلامة . فإن قيل للساجي متابع في سنن الدراقطني حيث

يقول : (حدثنا أبو بكر الشافعي نا ابن ياسين نا بندار نا يحيى القطان عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد أن النبي ﷺ سئل عن الجنين يخرج ميتاً قال : إن شئتم فكلوه .. أقول : ابن ياسين هو أحمد بن محمد بن ياسين الهروي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ولم يدرك بنداراً وهو محمد بن بشار المتوفى سنة ٢٥٢ هـ فيكون بينهما الساجي حتى يتصل السند ، أسقطه من أسقطه ليوهم أن ابن ياسين معروف بالكذب ، فيستغرب إخراج الدارقطني لهذا الحديث في سننه من غير تنبيه على ما فيه ، ومن هنا يعلم أن داء القوم مما لا دواء له غير مسبار يختبر به غور الجرح المهلك فيهم والله سبحانه وتعالى هو الهادي . وأما ذكاة الجنين فمشروح في النكت الطريفة (ص ٦٢) فليراجع البحث هناك من شاء . وأما رواية الخطيب عن أبي الفتح الأزدي في ابن شجاع فنحليها إلى قوله : (كذاب لا تحل الرواية عنه لسوء مذهبه وزيغته عن الدين) . فدليل كذبه هو زيغته في نظره ، فعلى هذا يكون للرافضي حق تكذيب من شاء من غير أهل مذهبه !! في نقد الخطيب ومتابعة ابن الجوزي في الروايتين ، وأما من يقول : كان أحد الجهمية القائلين بالوقف في القرآن والمصنفين في ذلك ، ولعثمان بن سعيد الدارمي كتاب في الرد عليه وعلى صاحبه بشر بن غياث المريسي وغيرهما من الجهمية . فقد اغتر بخلطائه من

الحشوية من غير أن يدرس كتاب الدارمي وغيره في هذا الموضوع . وقول القواريري في رواية الخطيب : أن ابن شجاع كافر . يضر القواريري لا ابن شجاع لأن الوقوف بالمعني الذي سبق ليس من الكفر في شيء ، وكم كان لهم إذ ذاك من إكفار وتبديع وإضلال بأتفه الأسباب ، والجدير بمثل عبيد الله بن عمر القواريري أن يتذكر إجابته في المحنة مع الأولين ويستحي من الكلام في مثل ابن شجاع ، ومثله يجب أن يكون آخر من يتكلم فيه . ومما حكى الذهبي في تاريخه الكبير : أنه جاء من غير وجه أن ابن الثلجي كان إذا سئل عن أحمد بن حنبل وأصحابه يقول : أى شيء قام به أحمد بن حنبل ؟ فكأنه كان يرى أنه لم يشرف على تدوين المذهب وإنه قطع التحدث قبل وفاته بثلاث عشرة سنة فبقي مسنده غير مهذب . فتحريير المذهب ، وتهذيب المسند كانا أمرين ضروريين ولم يقدرا بهما ، وثباته في الامتحان ما كان ابن شجاع يعده شيئاً لكونه على خلاف معه في المسألة ، لكن كفى للإمام أحمد فخراً ما نشر له أصحابه من علومه التي ملأت الكون بيد أن ابن شجاع كان غير مرضى عندهم فكان ينال منهم وينالون منه بأبداً الكلمات ونماذج من ذلك تجدها في نقض عثمان بن سعيد الدرامي فطالعتها لتعرف اتجاهه واتجاه خصومه وتصيب في الحكم وحكي الذهبي عن هارون بن يعقوب الهاشمي أنه سئل

أحمد عن ابن الثلجي وأصحابه قال : جهمية . قيل : أكان من أصحاب المريسي ؟ قال : نعم . وأنت تعرف أن الإمام الشافعي كان نزل في بيت المريسي ببغداد في رحلته الثانية لكن زج نفسه في المحنة الممقوتة فساء كلامهم فيه ، وحكى الذهبي أيضاً عن المروزي : أتيتهُ ولمتُهُ (يعني ابن شجاع) فقال : إنما أقول كلام الله كما أقول سماء الله وأرض الله . فقمت وما كلمناه حتى مات . وكان المتوكل قد هم بتوليته القضاء فقل له هو من أصحاب بشر فقطع الكتاب الذي كان كتب له في ذلك . وأبو بكر المروزي راوي الحكاية من أجلّة أصحاب الإمام أحمد إلا أنه زلت قدمه وزعم أن المقام المحمود هو إقعاد محمد ﷺ على العرش في جنب الله تعالى . مع استحالة ذلك عند أهل الحق ومخالفته للصارخة للسنة المتواترة في تفسيره بالشفاعة العظمي . وهذا المروزي هو الذي يحدث عن أبي إسحاق الهاشمي عن الزيادي : أشهدنا ابن الثلج على وصيته وكان فيها : ولا يعطي من ثلثي إلا من قال : القرآن مخلوق . كما في تهذيب التهذيب . ولعل ابن الثلج هذا غير محمد بن شجاع الثلجي فإن المستفيض عنه أنه كان من الواقفة لا من القائلين بأنه مخلوق . على أن القول بأنه مخلوق صحيح إذا أريد به ما في المصاحف والألسن والأذهان من الخطوط والأصوات والصور الذهنية لا ما قام بالله في علم الله

ومما يقضي منه العجب تعود ابن عدي في كتابه أن يقول عند تحدّثه عن خصومه ممن لهم براعة في الحديث : (ولم يكن من أهل الصنعة وما كان يدري ما الحديث ! وما كان من أهل الرواية) . هكذا يكون تحكم الجاهل المتعصب ليكشف عن دأبه .

وأكتفى بهذا القدر في سرد ما يروى في محمد ابن شجاع وقد بينت ما في تلك الروايات من المآخذ على مبلغ علمي وفهمي . وبعد الإمام بما سبق فللقارئ الكريم أن يختار ما شاء تحت مسؤوليته وفي تلك البحوث عبر في مبلغ اتساع الخرق على الراقع بأنفه الأسباب . والله سبحانه هو الهادي إلى الصواب .

وروي الخطيب عن إبراهيم بن مخلد عن أحمد ابن كامل عن أبي الحسن علي بن صالح بن أحمد البغوي عن محمد بن عبد الله الهروي سمعت أبا عبد الله محمد ابن شجاع الثلجي يقول : ولدت في اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ١٨١ هـ وتوفي وهو في صلاة العصر ساجداً لأربع ليالي خلون من ذي الحجة سنة ست وستين ومائتين . ودفن في بيت من داره ملاصقاً للمسجد وأخرج للبيت شباك إلى الطريق ومدفنه في الدرب المعروف بدرب المعبوج الملاصق لدار محمد بن عبد الله بن طاهر . قال أبو الحسن وحكي لي جدّي أنه سمع أبا عبد الله محمد بن شجاع يقول : ادفنوني

في هذا البيت فإنه لم يبق فيه طابق إلا ختمت عليه القرآن
أغدق الله على جدته سحب الرضوان وتغمدته بالرحمة
والغفران .

انتهيت بتوفيق الله تعالى من تحرير (الإمتاع بسيرة
الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع)
ضحوة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة
الحرام من سنة ١٣٦٨ هـ . وذلك بالمنزل رقم ١٠٤
بشارع العباسية بمصر القاهرة حرسها الله تعالى .
وأنا الفقير الراجي عفو الله ومسامحته محمد زاهد بن
الحسن بن علي الكوثري خادم العلم بدار السلطنة العثمانية
سابقاً غفر الله لي ولوالدي ولمشاخي وقرابتي وسائر
المسلمين وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



تم الكتاب بعون الله

فهرست الكتاب

الصفحة

الموضوع

- (١) الحسن بن زياد = نشأته ومبدأ أمره ونظام حياته عند اكتمال بدره ٥
- ثناء أهل العلم على الحسن بن زياد ٨
- بعض ما قاله الحسن بن زياد عن أبي حنيفة ١٣
- شيوخ الحسن بن زياد وأصحابه وتلاميذه ١٩
- مؤلفات الحسن بن زياد ٢٢
- توليته القضاء واتصاله بالأمرء ٢٤
- كثرة حديث الحسن بن زياد ٢٨
- أسانيد أهل العلم في مسند الحسن بن زياد وسندنا إلى الدواليبي في روايته ٥٢
- كلام بعض أهل الجرح في الحسن بن زياد ٥٧
- (٢) محمد بن شجاع الثلجي = أصله ونشأته ومنزلته في العلم ٨٣
- ثناء أهل العلم على محمد بن شجاع بالعلم والورع والتعب ٨٦
- رأيه في مسائل الاعتقاد التي كان يجري النقاش فيها بين أهل عصره ٩٠
- التحدث عما رماه به بعض الجارحين من خصوم المنزهين ٩٣

تتشرف المكتبة الأزهرية للتراث أن تقدم :

من تراث العلامة الشيخ / محمد زاهد الكوثري

م	اسم الكتاب	م	اسم الكتاب
١	الانتصار والترجيح للمذهب الصحيح .	١٧	تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري .
٢	رفع الاشتباه عن مسألتى كشف الرؤوس ولبس النعال في الصلاة .	١٨	الإمام الكوثري رحمه الله لأحمد خيرى
٣	الحاوى فى سيرة الإمام أبى جعفر الطحاوى .	١٩	النكت الطريفة فى التحدث عن ردود ابن أبى شبيه على أبى حنيفة .
٤	منية الألعى فيما فات من تخريج أحاديث الهداية للزيلعى رحمه الله .	٢٠	الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به .
٥	نحات النظر فى سيرة الإمام زفر رضى الله عنه .	٢١	إرغام المريد فى شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية .
٦	مناقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن .	٢٢	العالم والمتعلم - الفقه الأوسط - الفقه الأبسط - الفقه الأكبر .
٧	كشف الستر عن فرضية الوتر .	٢٣	النبد فى أصول الفقه الظاهرى .
٨	أحاديث الموطأ واتفاق الرواة عن مالك واختلافهم فيها زيادة ونقصا .	٢٤	الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشيبة .
٩	بلوغ الأمانى فى سيرة الإمام أبى الحسن الشيبانى .	٢٥	المنتقى المفيد من العقد الفريد .
١٠	احقاق الحق بإبطال الباطل فى مغيث الخلق وويله أقوم المسالك فى بحث رواية مالك عن أبى حنيفة والعكس .	٢٦	البحوث السنية عن بعض رجال الطريقة الخلونية .
١١	التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع .	٢٧	فقه أهل العراق .
١٢	دفع شبهة التشبيه لابن الجوزى .	٢٨	حسن التقاضى فى السيرة .
١٣	تأنيب الخطيب على ما ساقه فى ترجمة أبى حنيفة رضى الله عنه من الأكاذيب وويله كتاب الترحيب لنقد التأنيب .	٢٩	مقالات الإمام الكوثري .
١٤	الغرة المنيفة فى تحقيق بعض مسائل الإمام أبى حنيفة .	٣٠	السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل .
١٥	التبصير فى الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين للاسفراينى .	٣١	الاشفاق على أحكام الطلاق .
١٦	الأسماء والصفات للبيهقى .	٣٢	العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية .
		٣٣	دفع شبهة من تشبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد .
		٣٤	نظرة عابرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة .
		٣٥	فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان